
19
ايات مصرية للجيب
فانتازيا
خمسة منهم !
Looloo
www.dvd4arab.com

مقـــدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل **الوجوه التى لا تتغير** ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !



١ـ فانتازيا من جديد ..

من جديد سافرت (عبير) إلى أرض (فانتازيا) التى لم تعرف سواها وطنًا ولا أرضًا .. من جديد جلست إلى الجهاز ، بعد ما اطمأنت إلى أن الوليد قد نام ، والأمور هادئة ، ولم يعد ما يمنعها من الاستمتاع بجرعةٍ أخرى من عالم الخيال المترامى ؛ الذى هو حق لكل من يعرف كيف يحلم ..

كالعادة فى الآونة الأخيرة ، كان الانتقال سلسًا سهلاً ، ولم تدخل فى دوامة أضغاث الأحلام الهستيرية ، وتصادم أمواج الذكريات ..

فى لحظة كانت هنا ، وفى الثانية كانت هناك .. وها هو ذا (المرشد) يقف بجوار قطار (فانتازيا) المضحك الصغير كألعاب الأطفال ، يبتسم فى سماجة كعادته ، ويداعب زنبرك قلمه دون انقطاع ..

كان واقفًا يثرثر مع كهل ملتح مخيف النظرات ،

ويرتدى بذلة سوداء لا تمت لعصرنا بصلة ، وأدركت (عبير) أن الكهل كان يتكلم الروسية .. حيته فى فتور من لا يعرف من يكلمه ، فهز رأسه بدوره وابتسم ..

أشار لها (المرشد) كى تدنو أكثر ، وقال :

- « تتك تتك تك ! هذا هو جسبادين (دستويفسكى) .. إنه .. »

قاطعته غير فاهمة :

- « جسبادين ؟ حسبت اسمه (فيودور) أو .. »

- « جسبادين معناها (السيد) بالروسية .. كما نستعمل ألقاب (مستر) و (مسيو) و (هر) فى اللغات الأخرى .. كنت أقول إن السيد (دستويفسكى) يدعونا لزيارة عالمه فى القصة القادمة .. »

- « وهل هذا مغر ؟ »

- « تتك تتك تك ! من الناحية الأدبية هو مغر ، لكن من الناحية الترفيهية هو عرض لامعنى له .. هذا الرجل يدعونا إلى عالم من العقد النفسية والصرع والعلاقات الأسرية المتفسخة ، ويتوقع منك أن تستمتعى بهذا كله .. »

ـ « أعوذ بالله ! كأن هذا ينقصنى »

ـ « لكنه يقدمه ببراعة قلما قرأناها لدى أديب آخر .. إن (دستويفسكى) ببساطة هو الأعظم .. مرهق حقًا قاتم حقًا ، لكنه عبقرى .. فهل تقبلين العرض ؟ »

ـ « طبعًا لا .. يوم أعمل فى رسالة دكتوراه فى كلية الآداب ؛ سأخبرك بهذا .. »

استدار (المرشد) نحو الكاتب العظيم ، وبكياسة اعتذر له وشكره :

ـ « سيباسيبا تافاريش .. »

فهز (دستويفسكى) رأسه فى خيبة أمل ، وابتسم وابتعد ليفسح لهما مجالاً لركوب القطار .. لاحظت (عبير) أن طرف فمه يرجف بلا انقطاع .. ولم تدر سبب هذا ..

قال (المرشد) وهو يعينها على الركوب :

ـ « أنت تعرفين أنه مصاب بالصرع .. وكل انفعال قد يبدأ النوبة »

ـ « يا حرام ! دعنا نقبل عرضه ! »

ـ « ليس الآن .. ربما فى طريق العودة »

لأن قطار (فانتازيا) كان قد بدأ رحلته الطويلة عبر مملكة الأحلام .

كان القطار يتهادى وسط عوالم لم ترها من قبل ، فيها مخلوقات فضائية غريبة تلتهم بشرًا صارخين ، وسحرة من (بيرو) يطلقون تعاويذهم أمام نار موقدة لا تكف عن التراقص ، والغوريلا العملاق (كنج كونج) يحمل فتاة صارخة فى يده ، كأنما هى دمية .. ربما هى (فاى راى) فى الماضى أو (جيسيكا لانج) فى الأفلام الحديثة ..

أسندت (عبير) مرفقها إلى النافذة ، وقالت :

ـ « لاحظت يا (مرشد) أنك تكاد تقصر مغامراتى هنا على الأعمال الغربية .. أنا أعيش هنا فى عالم من الأدب المُترجم ، ما بين (جاك) و (هانز) و (توم) .. هل يوجد لديك عالم يحوى (عباس) و (شحته) وسواهم ؟ أم أن نزعة العولمة تسربت لك أنت أيضًا ؟ »

ابتسم وأعاد قلمه إلى جيبه ، وقال :

- « يوجد الكثير .. لكنك راغبة فى ارتياد عالم المغامرات .. واضح أنك تنفرين من الأدب الاجتماعى ، وهذا يجعل خياراتنا محدودة ، لأن أدب المغامرة المكتوب للعربية خصيصًا قليل جدًا .. هل لديك فى العربية شخصيات مثل (هولمز) أو (بوارو) أو (بيرى ميسون) أو (جيمس بوند) أو (القديس) أو (دراكيولا) ؟ توجد نماذج نادرة جدًا ، ولهذا أجد نفسى مضطرًا لاصطحابك إلى العوالم الغربية .. »

لكن المنظر من نافذة القطار كان يقول أشياء أخرى ..

كانت ترى الآن شارعًا هادئًا تتناثر الفيلات على جانبيه ، وللجو رائحة عطرة غافية ، ثم تقدم القطار أكثر فرأت بقالاً على ناصية الشارع ، وكشكًا لبيع الصحف والمجلات .. هذه مصر .. لاريب فى هذا .. ربما القاهرة كذلك .. فى مصر يغدو كل شىء مصريًا حتى لون الجو وشكل الظلال ولون الغبار .. لايمكن الخطأ فى هذا ..

فى فضول سألته :

- « وهذا المكان ؟ هل يتعلق بماضىّ أم هو من عوالم (يوسف إدريس) أو (نجيب محفوظ) ؟ »

ابتسم وهزّ رأسه أن لا :

ـ « حقًا هناك نماذج نادرة لأدب المغامرة فى العربية ، ونحن نمر الآن بالصدفة بنموذج منها .. هذه هى المعادى .. معادى أوائل السبعينيات ، فهل تذكرت شيئًا ؟ »

ـ « حقًا لا أذكر .. هل (أدهم صبرى) يعيش فى المعادى ؟ أم ؟ »

ثم ابتلعت لسانها إذ رأت خمس دراجات تخرج من شارع جانبى ، يركبها خمسة أطفالٍ أعمارهم ما بين الثامنة والثالثة عشرة .. أكبرهم سنًا يتقدم الموكب ، وهو أكثرهم بدانة .. كتلة شحم تترجرج فوق الدراجة ، وقد احتقن وجهه من فرط الجهد .. وبعد ثانيتين رأت كلبًا أسود صغيرًا يلحقٍ بالموكب وهو يهز ذيله فى مرح ..

أنتم هنا ! حقًا لقد نسيت ونسى (المرشد) الأحمق أن هناك عالمًا عربيًا ساحرًا للمغامرات ، يقوده صبى بدين له كل سحر وجاذبية (بوارو) و (هولمز) ، وهذا العالم قد خلّد (المعادى) للأبد فى أذهان كل من قرءوه ، حتى لو لم يروها قط ..

قالت للمرشد ، وهى تسبقه إلى مد يدها إلى الحبل لتوقف القطار :

ـ « أنزلنى هنا.. لقد سئمت سماع أسماء (توم) و (ديك) و (هارى) ، وسماع الكلام بلغة غير العربية .. إن هذه المغامرة تثير شغفى .. »

ـ « كما تريدين يا (أليس) .. »

ـ « اسمى (عبير) .. أكررها للمرة الألف .. »

وتوقف القطار ، فترجلت .. وكالعادة وجدت نفسها وقد تغيرت شكلاً وملبسًا لتتواءم مع المغامرة الجديدة .. كانت تلبس الآن ثوبًا متسع ، التنورة من طراز يناسب أوائل السبعينيات ، وقد عقصت شعرها إلى أعلى ، وارتدت حذاءً مدبب الطرف ، كما أدركت أنها صارت أصغر سنًا .. صارت على أعتاب المراهقة الأولى الخجول ..

كانت تركب ـ ببراعة لم تكن لديها ـ دراجة من دراجات البنات ، وتمشى وسط ذلك الموكب الخماسى الذى رأته منذ قليل ..

لقد بدأت المغامرة إذن ..

* * *



كانت تركب - ببراعة لم تكن لديها - دراجة من دراجات البنات ، وتمشى وسط ذلك الموكب الخماسى الذى رأته منذ قليل ..

٢ ـ خمسة منهم ..

كما هى العادة بدأت الأحداث فى إجازة منتصف العام .. وكما هى العادة كانوا في الحديقة الخاصة بدار الفتى البدين .. كان هذا زمنًا سعيدًا لا تعرف (المعادى) فيه الأبراج والبنايات الشاهقة .. كانت مجموعة من الفيلّات المعتنى بحدائقها ، مما جعل المكان أقرب إلى عالم سحرى لم يتلوث ..

وهناك يجلس الخمسة فى شمس الشتاء فائقة الدفء ، كأنما هى كل ما فى الطبيعة من عطاء .. جاءت خادمة تحمل صحفة عليها أقداح الشيكولاتة الساخنة ، فمد الأصدقاء أيديهم فى رضا عن الكون بأسره ..

وكما هى العادة قال أحدهم (وهو أكثرهم نحولاً) :

ـ « هى ذى الإجازة تنتهى ، وما من مغامرة واحدة ولا لغز .. الحق أنها كانت إجازة مملة .. »

قال البدين فيهم وهو يتثاءب :

- « من أدراك ؟ نفسى تحدثنى بأن مغامرة عظيمة فى الطريق لنا .. وما زال فى إجازتنا ثلاثة أيام .. قد يحدث الكثير فى ثلاثة أيام .. »

وهنا توقفت سيارة سوداء مهيبة الشكل أمام الفيلاَ ، وانفتح الباب لينزل رجل قوى البنيان غامض ، يضع عوينات سوداء ، ويذكرك بصور مراكز القوى كما نراهم فى أفلام السبعينيات .. لكن هذا لم يخف أنه مرهق قانط يحتاج إلى عون سريع ..

- « هل رأيتم كم أنا مصيب دومًا ؟ هذا هو المفتش (سامى) ! »

* * *

هل استطعت تعرف هؤلاء ؟

طبعًا .. كل من بدأ - منذ بداية السبعينيات - يكتشف ذلك الاختراع السحرى المدعو الكتاب يعرفهم .. إنهم طبعًا المغامرون الخمسة .. مجموعة الأصدقاء الذين وحدتهم (المعادى) ووحدهم الاهتمام بالجرائم

الغامضة ، فكونوا فريقًا متكاملاً وأطلقوا على أنفسهم (المغامرون الخمسة) ..

فى القصة الأولى (لغز الكوخ المحترق) التقوا معًا ، واتخذوا أسماء حركية أو أسماء شهرة ، حفظها القارئ عن ظهر قلب .. (تختخ) الصبى البدين الذى امتلأ ذهنًا وذكاء ، والذى يمثل المحرك والعقل المفكر للمجموعة .. إنه ـ كما سنقول مرارًا ـ عقل خالص ، فيه كل ما ينفر شكليًا ويجذب عقليًا ، ومعه عرف الطفل العربى للمرة الأولى معنى (أنتيهيرو) أو نقيض البطل .. وما لا تدركه (عبير) هو مدى عمق وتجسيم هذه الشخصية ، والذى تم بناؤه ببطء عبر عشرات الكتيبات .. إنها شخصية ثلاثية الأبعاد ، لا يجد القارئ صعوبة فى أن يحبها فيدمنها ..

وبعده بمسافة لا بأس بها يأتى (عاطف) وهو يمثل إلى حدٍّ ما القوة الخالية من الذكاء .. ثم يجىء (محب) النحيل كثير الحركة .. أما الفتيات فاثنتان لا أكثر : (نوسة) وهى على أعتاب المراهقة ، و (لوزة) وهى طفلة فى كل شىء إلا فى ذكائها الخارق .. إنها

أضعف وأصغر أعضاء الفريق ، لكنها نموذج لـ (يضع سره فى أضعف خلقه) ..

ربما يذكر القارئ كذلك أن (نوسة) هى شقيقة (محب) ، و (لوزة) شقيقة (عاطف) ..

ولقد لعبت صورة الشخصيات التى رسمها الفنان (سمير ثابت) على الغلاف الأخير ، دورًا لا بأس به فى تثبيت هذه الصور للأبد : (تختخ) بذقنه المزدوجة المكتنزة ، و (محب) بوجهه المثلث العصبى ، و (لوزة) بضفيرتيها الطائرتين فى الهواء كجهازى استقبال ..

أما المفتش (سامى) فهو ضابط ذو رتبة عالية ، ربما فى المباحث الجنائية أو شىء من هذا القبيل .. ثقته عمياء فى الأصدقاء ، ولربما بدا من العسير تصور أن يتجه المفتش إلى دار طفل يدعى (تختخ) ، ليقول له فى كل مرة : نحن نعتمد عليك يا (تختخ) .. ويجلس فى نهاية القصة ليصغى فى تواضع لنتائج تحقيقاته واستنتاجاته ، ثم يعتقل الجانى دون مناقشة .. بل وفى (لغز القفاز الأخضر) يطلعه على أسرار مهمة

من أسرار أمن الدولة ، لكننا نقبل هذا ونصدقه كجزء من الصفقة الشهيرة بين الكاتب والقارئ : دعنى أنخدع - دعنى أخدعك ..

لقد طبعت هذه القصص كل المطبوعات الأخرى بطابعها ، وخرجت من عباءتها سلاسل عديدة ، ويكفى أن القارئ العربى - حتى اليوم - يسمّى أى كتاب من نفس القطع وله ذات الغلاف الصقيل باسم (لغز) .. لقد اتسع لفظ (لغز) ليشمل نوعًا بأكمله من المطبوعات ، حتى لو لم يكن محتواه بوليسيًا ..

بقى - قبل أن نعود لقصتنا - أن نقول ما لابد أن القارئ خمنه منذ دهر : (عبير) قد وجدت نفسها هنا فى شخصية (نوسه) ..

* * *

التف الأصدقاء - بشوارب من الشيكولاتة فوق شفاههم العليا - حول المفتش ، ورحبوا به فى حرارة ، فسألهم بصوته الرنان القوى :

- « كيف حالكم ؟ هل من ألغاز فى الجو ؟ »

قلب (تختخ) كفه لأعلى بمعنى أنه لا يوجد شىء ، وقال :

ـ « كنا نأمل أن تقدم لنا شيئًا يا سيدى .. »

قال المفتش وهو يتناول قدح القهوة الذى جلبته له الخادمة :

ـ « حقًّا لدى شىء .. وإن كنت لا أتوقع أن تنجحوا فى حلّه فى الفترة الباقية على الإجازة .. »

كانت كل الجرائم وكل التحقيقات ـ لأسباب تربوية ـ تتمّ دائمًا فى الإجازتين : إجازة الصيف وإجازة منتصف العام .. ومن الغريب أن الحل كان يأتى دومًا فى آخر لحظة قبل انتهاء الإجازة ، بعد هذا يتوارى المغامرون الخمسة تمامًا حتى العطلة التالية .. وهكذا نجد أنفسنا أمام حالة فريدة محيرة لرجال علم الإجرام : الجريمة لاتحدث فى (المعادى) إلا فى يناير وفى أشهر الصيف ..

استطرد المفتش بعد الـ (سليرب) المميزة لأول رشفات من القهوة :

ـ « الأمر يتعلق هذه المرةَ بجريمة قتل .. أو هذا هو الاحتمال الغالب لدينا حتى الآن .. »

شهق الجميع وتبادلوا النظرات .. وتذكرت (عبير) أن الألغاز ظلت خالية من جرائم القتل بأنواعها ، ولنفس الأسباب التربوية .. حقًا قد غصت بالسرقات وجرائم التزوير ، لكن لا قتل .. لا عنف من أى نوع .. سيكون هذا لغزًا فريدًا من نوعه إذن ..

قال المفتش وهو يضع قدح القهوة على المنضدة :

ـ « الأمر يتعلق بالمحاسب (حسين أبو شادى) .. لقد اختفى منذ أسبوع ، ولا يوجد أى دليل على المكان الذى اختفى فيه .. »

مندهشًا هتف (محب) :

ـ « المحاسب (حسين أبو شادى) اختفى ؟! إنه صديق أبى .. كيف لم نعرف هذا ؟ »

ـ « كان صديق أبيك .. هذه نقطة .. النقطة الثانية هى أن المحيطين به يحسبونه سافر إلى النمسا فى مؤتمر دولى .. هذا ما قيل .. »

سألت (عبير) وقد بدأت تندمج فى جو القصة :

ـ « هذا ما قيل ؟ لا أفهم .. ألم يصل إلى هناك ؟ »

ـ « نعم .. أبرقت إدارة المؤتمر تتساءل عن عدم وصوله .. أصاب الزوجة الذعر ، واتصلت بالمطار لتعرف أن الرجل لم يغادر البلاد عن طريق المطار قط .. لقد اختفى الرجل تمامًا .. »

ـ « وبالطبع حاولتم أنتم البحث بأساليب الشرطة المحكمة ؟ »

ـ « بالطبع .. لا أثر للرجل فى المستشفيات ولا المشارح .. لم يره أحد .. لم يتعرف صورته أحد .. باختصار : لقد تلاشى تمامًا .. تبخرت جزيئاته .. »

فى مرح قالت (عبير) / (نوسة) :

ـ « تسامى ! أى تحول من الحالة الصلبة إلى الغازية دون مرور بالحالة السائلة ! هذا ما تعلمناه فى الكيمياء .. »

قال المفتش فى فتور :

ـ « من يدرى ؟ ربما بالحالة السائلة .. إن التذويب فى الحمض احتمال لم أعد أندهش له الآن ! »

سأله (تختخ) بلهجة عملية ، كأنما يريد إنهاء الأحاديث الجانبية :

ـ « هل هناك مستفيدون من اختفائه ؟ »

ـ « لا أحد .. الزوجة ستنال مبلغ تأمين لا بأس به ، لكنها ليست من هذا الطراز على قدر ما نعلم .. »

ـ « هل الانتحار وارد ؟ إن جثث المنتحرين قد توجد فى أماكن غريبة ، لا يمكن العثور عليها .. »

ـ « من العسير أن ينتحر وهو المتحدث الرئيسى للمؤتمر وضيفه ، وحالته المالية فى تحسن مطرد ، وعلاقته بزوجته محل حسد الكثيرين ، وصحته على ما يرام ، فلم يخبره الأطباء أنه مصاب بسرطان المخ لو كان هذا ما تعنيه .. »

ـ « وماذا عن الاختطاف ؟ »

ـ « مستبعد لنفس الأسباب .. لا أعداء للرجل .. ولم

يطلب الخاطف فدية ، فمن العسير أن يختطفه أحد لتربيته فى الفناء الخلفى » .

ـ « وفقدان الذاكرة؟ أليس واردًا ؟ ربما كان الآن يجول فى أحياء القاهرة المحيطة بالحسين ـ واللعاب يسيل من شدقيه ـ يتسول » .

ـ « لا تكن سخيفًا .. هذا الرجل هو عقل إلكترونى آدمى .. لا ينسى شيئًا أبدًا » .

عقل إلكترونى ؟ ثم تذكرت (عبير) أن القصة تدور فى عصر لم يكن أحد فيه يستعمل لفظة (كمبيوتر) أو (حاسوب) ..

قال (عاطف) وهو يتمطى :

ـ « يبدو لغزًا صعبًا بحق .. لا توجد نقطة ارتكاز نبدأ منها .. »

ـ « لهذا جئت أطلب رأيكم .. »

ثم نهض المفتش ، وقال وهو يغادر الحديقة :

ـ « هناك من سيجلب لكم ملفات التحقيقات بعد ساعة من الآن .. أريد منكم أن تفتحوا عيونكم وتبحثوا جيدًا .. »

★ ★ ★

٣ ـ حسين أبو شادى ..

ـ « لغز ! سنذهب لنبحث عن ذليل ! »

كذا صاحت (لوزة) فى مرح كعادتها ، فهى قد قضت عشرات الألغاز دون أن تتمكن من أن تنطق (دليل) بدلاً من (ذليل) .

قالت (عبير) / (نوسة) فى توجس :

ـ « أخشى أن الأمر هذه المرة أكبر منا .. »

ـ « لا شيء أكبر منا سوى الموت .. »

قالها (تختخ) فى ثقة وابتسم لها .. كان صوته قد اكتسب تلك الخشونة الوليدة المصاحبة للمراهقة ، لذا صارت له عدة نغمات ، وكان يعطيك دومًا الانطباع بالمعاناة كأنما نبرات الصوت تخرج من قلبه لاحنجرته .. أما عن الزغب المتراكم فوق شفته العليا فحدث ولاحرج .. والحقيقة هى أن (تختخ) قد جرب

حلاقة مشروع الذقن هذا منذ أسبوعين .. تسلل للحمام فجرًا واستعمل موسى أبيه ، وحاول أن يزيل الشعيرات الناعمة على خديه ، فقط ليشعر بالرجولة الوليدة ، لكن الأمر كان أعسر مما توقع ، وكاد يحش أذنه اليسرى بالموسى .

لقد كبر (تختخ) حقًا ، وإن سبقه (عاطف) و (محب) فى شعر الوجه وخشونة الصوت ..

سأل (تختخ) (محب) :

ـ « قلت إن (حسين أبو شادى) صديق أبيك .. فماذا تعرف عنه بالضبط ؟ »

نظر (محب) إلى الأرض مفكرًا وقال :

ـ « لاشىء .. هو رجل عادى من الذين تراهم فى كل مكان ؛ فى الخمسين من العمر .. أصلع .. عوينات سميكة .. مرح لطيف المعشر مهذب .. لديه ابنان هما (علاء) و (كمال) .. مهندس وطبيب بالترتيب ، وكلاهما لايقيم فى مصر .. »

ـ « وزوجته ؟ »

ـ « مدام (سلوى) .. سيدة مجتمع فاضلة ومهذبة .. وهى صديقة أمى بالمناسبة .. يبدو أنها ـ الزوجة لا أمى ـ عضو فى أحد تلك الأندية النسائية التى يصعب تذكر اسمها ، والتى تنظم الحفلات الخيرية ، وتشرف على بيع المفارش اليدوية ، وتبيع اليانصيب ، وما إلى ذلك .. وبالمناسبة مدام (سلوى) قد تأثرت كثيرًا باختفاء زوجها ؛ حتى إنها كفت تمامًا عن دورها الاجتماعى وعن لقاء الصديقات .. »

نظر (تختخ) إلى (عبير) وقال :

ـ « هل تعرفينه يا (نوسة) ؟ »

بالطبع وجدت (عبير) نفسها فجأة تعرف كل شىء عن الرجل ، فقالت وهى تنظر إلى أخيها كى يصحح أخطاءها :

ـ « طبعًا .. وهو رجل تقليدى ممل .. ليس من الطراز الذى يهرب أو يختطف .. كل ما هنالك أن لشركته نشاطًا دوليًا ، وهو كثير الأسفار لهذا السبب .. »

حك (تختخ) نقته التى لم يقدر على حلاقتها ، وقال :

ـ « حسن .. سيكون عليك و (نوسة) زيارة المرأة ـ التى أرجو ألا تكون أرملة الآن ـ لتحققا فى الأمر بدقة ، أما أنا فسأقوم بالتنكر فى شكل متسول .. »

سألته (عبير) :

ـ « كل هذا جميل ، ولكن لماذا تتنكر فى هذا الزى ؟ »

ـ « لا أدرى بعد .. لابد من التنكر فى كل مغامرة .. هذه هى التقاليد » .

وتفرق الأصدقاء على أن يلتقوا فى المساء لتبادل وجهات النظر فى الأمر ..

★ ★ ★

راكبة الدراجة فى شوارع المعادى الهادئة مع أخيها (محب) ؛ خطر لـ (نوسة) أن الضاحية لم تكن قط بالجمال الباهر ، الذى رسمها بها المؤلف (محمود سالم) .. ها هما ذان يتجهان إلى الشارع الجانبى الضيق

الذى تحفه الخضرة من الجانبين ، والذى يقيم فيه الأستاذ المختفى (حسين أبو شادى) ..

قال لها (محب) دون أن ينظر لها ، وهو يلهث من مجهود القيادة :

- « (نوسة) .. لا أدرى كيف يمكننى البدء فى أن أقول ما أريد قوله .. »

قالت له متوجسة :

- « الأمر ليس بهذا التعقيد .. أعتقد أن هذه بداية جيدة بالفعل » .

واصل السير ، وعضلاته النحيلة تتوتر أكثر على مقود الدراجة ، وتحركت حنجرته (تفاحة آدم) فى عصبية ، مما يدل على عسر يلاقيه فى الكلام :

- « الأمر يتعلق بـ (تختخ) .. ألاحظ أن اهتمامه بك قد بدأ يتزايد .. ولا أدرى كيف أعبر لكن كل هذا يضايقنى ، ولسوف أكون شاكرًا لو أخبرتنى بأى جديد يطرأ ، لأنى لن أسمح لأحد بمضايقة أختى .. »

غريب هذا ! لم يجل ذاك بخاطرها قط ، ولم تضعه

فى الحسبان وهى تقرأ قصص الأصدقاء الخمسة .. لكن الزمن يتطور ، والأجسام تنمو ، ومن كان طفلاً صار مراهقًا توطئة لأن يصير شابًا .. هذا طبيعى ولا بد أن يحدث ..

هى فقط كانت تطالع القصص بمفهوم القصص التقليدى .. كلهم لا يشيخ ولا ينمو .. (جيمس بوند) لم يشخ قط منذ الستينات وحتى اليوم .. أبطال أفلامه هم الذين كانوا يشيخون فيتم استبدالهم ، وهكذا تحول (شون كونيرى) إلى (بيرس بروسنان) مرورًا بـ (روجر مور) و (تيموثى دالتون) .. الآن فقط تدرك أن المغامرين الخمسة يكبرون ، ومع نموهم تنمو علاقات لم تدر بذهنها قط ..

قالت لأخيها كى تغلق الموضوع :

« (تختخ) مخلص كأخ .. ولو ضايقتنى ستكون أنت أول من يعلم .. »

ـ « هذه أختى العاقلة .. »

قالها (محب) وهو يترجل عن دراجته أمام باب

الفيلاّ ، ويخرج الجنزير والقفل ليربطها إلى السور الحديدى ، فحذت حذوه ..

كان البواب النوبى على الباب يشرب الشاى الثقيل الأسود ، ويدخن المعسل ، فلما أبصرهما تعرف (محب) على الفور وحياه وسعل ، وبصق على الأرض من فرط الحماس ..

اجتازا الحديقة واختلسا نظرة إلى النباتات المزروعة بعناية على الجانبين ، مع الإضاءة الموزعة بدقة ، هما لم يريا المكان ليلاً لكن لابد أنه يغدو حلمًا .. كانت هناك أنواع من الزهور لم تعرفها (عبير) جيدًا .. فهى لم تتعلم قط كيف تحترم هذه الكائنات الجميلة .. كان أقصى ما تدركه هو أن هناك زهورًا حمراء وصفراء وبنفسجية .. لكنها لاحظت أن هناك مساحة لا بأس بها ظلت زهورها فى حالة نمو متوسط ، يتناقض مع النمو المزدهر المحيط بها ..

بعد دقائق فتحت لهما الباب السيدة (سلوى) ، وهى امرأة مهذبة فى الأربعين ، ليست من الطراز الذى يقتل زوجه .. لم تكن تعرف (محب) و (نوسة) لكنها

سمحت لهما بالدخول فى مودة ، وتكفلت بضع كلمات بإجراء التعارف .. كانت حزينة كاسفة البال لكنها احتفظت بأسلوبها الودود المرحب .. أسلوب من اعتادت المجتمعات والحفلات ، واعتادت أن تبش فى وجه من لا تطيق ..

بعد المجاملات المعتادة - فى صالون فاخر يغص بالعاديات والتحف - وبعد التهام (الجاتوه) وشرب الشاى ، وبعد السؤال عن صحة أمهما ، وبعد إطراء جمال (نوسة) / (عبير) وتحولها إلى عروس بالغة الحسن ، هى التى لم ترها منذ زمن بعيد ؛ بعد هذا كله بدأت تبكى ..

نظرت (عبير) لـ (محب) حائرة ، ثم نهضت وجلست جوار المرأة المتحمسة ، ووضعت يدًا مترددة على كتفها المهتزة ، وقالت :

- « اهدئى يا طانط .. لا عليك .. »

راحت السيدة الفاضلة تمخط وتشهق ، ثم أخرجت منديلاً محلاويًا عملاقًا و (بففففففف !) أفرغت أنفها ، ثم قالت :

- « لو أنهم جلبوا جثته لى ، لكان هذا أرحم من حالة الجهل المخيف التى أمر بها .. من أبسط حقوق الزوجة أن تعرف ما حل بزوجها .. هل أنا أرملة الآن أم أن زوجى مخطوف أم هارب أم ؟؟ »

سألها (محب) بطريقة عابرة :

- « كيف حدث كل شىء ؟ »

قالت وهى تنظر خارج النافذة إلى الحديقة :

- « بدأ كل شىء يوم الاثنين من أسبوعين .. »

* * *

لم تضف الزوجة جديدًا إلى ما حكاه المفتش (سامى) .. المؤتمر الاقتصادى الآرى يدعو الزوج - وهو حاصل على دكتوراه فى العلوم الاقتصادية - والزوج يقبل الدعوة .. ليست هذه أول مرة .. يعد حقائبه وينطلق بسيارته إلى المطار ، ويؤكد أنه سيعود بعد ثلاثة أيام .

فى المساء تنتظر الزوجة فى قلق مكالمة زوجها .. لم يتصل ..

فى الواحدة بعد منتصف الليل تأتيها مكالمة من النمسا .. الملحق الاقتصادى المصرى يسألها عن سبب تأخر الأستاذ فى الحضور .. تدرك الحقيقة المروعة : الزوج لم يصل إلى النمسا قط .. تتصل بالمطار هنا لتجد أنه لم يركب الطائرة أصلاً ..

هنا فقط بدأت تتحرك إيجابيًا .. اتصلت بالشرطة ، وهؤلاء بدءوا البحث بحماس .. فقد اختفى الرجل منذ أربع وعشرين ساعة ..

النتيجة سلبية فيما يتعلق بالمطار .. سيارته غير موجودة فى دائرة المطار ، وكل الأماكن التى يمكن أن يترك المرء فيها سيارته ثلاثة أيام ..

اتصلوا بأقاربه .. بأصدقائه .. فقط تجنبوا الاتصال بولديه المقيمين بالخارج كى لا يُجنّا .. لم يتركوا حجرًا لم يقلبوه ـ كما يقول الإنجليز ـ دون جدوى ..

لقد تلاشى الرجل تمامًا من على وجه البسيطة كأنما لم يكن قط ..

* * *

٤ـ مغامرة ليلية ..

ـ عندما التقوا فى المساء ؛ كانت لدى (تختخ) قصة مسلية عما قام به اليوم، وقد حكاها بعدما سمع تفاصيل ما قاموا به ..

لقد انتظر حتى بدأ الليل يهبط، وهو يهبط مبكرًا لأنهم فى شهر يناير، ثم صعد إلى حجرته فى الطابق الثانى، والتى تحوى كل كنوزه من أدوات التنكر والثياب التى جمعها بعناية على مدى أعوام وألغاز متعددة ..

لقد شاهدنا (تختخ) فى ثياب القرداتى وثياب المهراجا والنشال .. ومن الغريب دائمًا أن تنكره يجعله يبدو أكبر سنًا حتى ليخدع عتاة المجرمين ..

دائمًا ما يكون تنكر (تختخ) فقرة ثابتة فى كل لغز .. وهو هنا أيضًا لاينوى تخييب أمل القراء ..

كان التنكر الذى اختاره هذه المرة هو ثياب متسول .. ربط إحدى عينيه بعصابة، وارتدى جمة الشعر المنكوش المتسخ، وارتدى ثيابًا مبقعة ممزقة ..

ثم كعادته تسلق على الشجرة التى تطل غصونها جوار نافذته ، هابطًا إلى الحديقة ، حيث هدأ من روع كلبه الأسود (زنجر) .. لاداعى للضوضاء أيها الكلب العزيز .. لا تخف ..

ومشى فى شوارع المعادى التى غمرها الظلام قاصدًا بيت الأستاذ (حسين أبو شادى) الذى اختفى دون سبب واضح ..

لم تكن هناك خطة محددة فى ذهنه لما يجب عمله ، لكنه قرر أن يلقى نظرة على الفيلاّ وأن يقول شيئًا للبواب .. فى الغالب سينتهى الأمر بالطرد الغليظ ، لكنه فكر فى أن وجه البواب سيمنحه فكرة ما ..

وقف فى الليل البارد قرب الفيلاّ التى راحت تتوهج فى أضوائها الكهربية ، كأنما الحديقة بحر من نور فى حلم جميل .. وراح يردد بصوت مبحوح مشروخ دام :

ـ « للّه يا محسنين .. للّه »

قالها ست مرات ثم شعر بالملل ..

« الحقيقة » ـ قال (تختخ) للأصدقاء ـ « هى أن

المتسولين يستحقون ـ إلى حد ما ـ ما ينالونه ، فهم يملكون فضيلة المثابرة وعدم الملل .. وهى ـ كأية موهبة أخرى ـ لها ثمنها من دون شك ! »

نعود لموضوعنا ...

قلنا إذن إنه راح يردد عبارات التسول حتى شعر بسأم حقيقى ، فقرر أن يدنو من الفيلاً .. كان هذا حين استلفت نظره متسول آخر يحمل عصا خشبية ويقف على الجانب الآخر من الطريق ، فى ضوء مصباح عمومى .. كان يربط رأسه بعصابة عليها بقعة حمراء ، وله شارب كث غليظ ..أما الأهم فهو أن الرجل كان يرمقه بإصرار وفضول ..

هذا طبيعى .. فكر (تختخ) .. متسول ومتسول هما زميلا مهنة ، ولابد أن الآخر يتساءل عن اسمه ومنطقة عمله .. ثم إنها صدفة غريبة أن يتواجد متسولان فى هذا الحى الراقى ليلا ...

ودون كلمة أخرى عبر المتسول الآخر الشارع ، وبخطى ثابتة اتجه نحو (تختخ) ، واعتصر ذراعه فى قسوة ، بينما عيناه تشعان نارًا :

ـ « من أنت وماذا تفعل هنا ؟ هذه منطقتى وأدفع أرضيتها لـ (سيد فورمايكا) .. هل يعرف (سيد) أنك هنا ؟ »

كان قلب (تختخ) يتواثب هلعًا لكنه تماسك ، وخطر له أن من يملك هذه القوة الجسدية لا يمكن أن يتسول .. لقد ضل هذا الرجل طريقه إلى عالم قطع الطريق الرحب ..

استجمع ما فى حنجرته من صوت غليظ وقال :

ـ « إنها مسألة أرزاق .. لا أحد يسرق رزق الآخر .. وهذا الحى ثرى ويتسع للجميع » .

ـ « أما أنا فأقول لك (يا واخد قوتى .. يا ناوى على موتى) .. لا مزاح هنا .. والطعن بالمدى ليس أبسط ما يحدث لأمثالك .. هيا ! انصرف وأرنى عرض كتفيك ! »

كان (تختخ) قد وصل الآن إلى رأى صائب لا شك فيه : هذا ليس متسولاً حقيقيًا .. إنه يجيد تمثيل دوره ، لكن لهجته وانفعالاته كلها توحى بالتصنع ..

هذا الرجل يبذل مجهودًا كالذى يبذله (تختخ) ليبدو مقنعًا ..

أما القرار الصائب فهو الابتعاد ..

وهكذا تراجع (تختخ) فى وجل لم يتكلفه ، لأنه كان بحق خائفًا .. بالواقع لم يبتعد تمامًا ، إنما توارى فى شارع جانبى ، ثم من جديد عاد يختلس نظرات فضولية إلى الفيلا ، وفى هذه المرة كان ما رآه غريبًا ..

رأى المتسول المزيف يتقدم بخطى ثابتة إلى باب الفيلا فيفتحه ، ثم يدلف إلى الداخل ، فلم يأت البواب برد فعل ما .. وفى اللحظة التالية رآه يغيب فى الحديقة ..

قرر (تختخ) أن ينتظر ليرى متى وكيف يخرج المتسول من الفيلا فى المرة القادمة ، وظل حيث هو بضع دقائق .. كان بطبعه ملولاً ، وهاله أن مهنًا كثيرة جدًّا تتطلب الصبر ، ومنها مهنة المخبر ومهنة المتسول .. يبدو أنه لا يصلح لكلتيهما ..

ـ « قف حيث أنت ! »

كان هذا هو الصوت الذى باغته من الخلف ، فالتفت ليرى الهول ذاته ممثلاً فى الشاويش (على) أو الشاويش (فرقع) كما يسمونه ..

إن الشاويش (فرقع) هو ـ عن جدارة ـ سادس المغامرين الخمسة ، ووجوده أمر لايمكن الاستغناء عنه ، كما لايمكن أن تتم مغامرات (توم) من دون (جيرى) ، أو نرى (لوريل) من دون (هاردى) ، أو نفهم معنى الأرض من دون سماء .. دائمًا هو هناك ، وهو عاجز تمامًا عن النظر بصورة جدية إلى المغامرين .. مجرد أطفال هواة يعرقلون عمله .. هذا هو رأيه فيهم .. ولهذا يرفض وجودهم دومًا وبقوة السلطة التنفيذية التى يمثلها . لكنه كالعادة يفشل دائمًا .. وفى كل مرة يزداد غضبًا وحنقًا .. ونجده لايتعلم أبدًا ـ بعد عشرات الألغاز ـ أن هؤلاء الصبية بارعون حقًا ..

بقى أن نقول إن الشاويش (فرقع) هو الاسم الذى اختاره الأصدقاء سرًا للرجل ، لأنه لايكف عن طردهم من كل مكان مرددًا : فرقع من هنا منك له ! يقولها بلهجته الريفية حتى صارت علامته التجارية المميزة ..

كاد (تختخ) يتكلم مع الشاويش مفسرًا ما يحدث ،

ثم فطن إلى تنكره ، وإلى أن نهاية المغامرة لن تزيد على ليلة فى تخشيبة قسم المعادى .. وهكذا قرر أن يركض .. إن الظليم (ذكر النعامة) الذى ضربوا به المثل فى السرعة ، لن يملك إلا أن يحسد (تختخ) على سرعة جريه ، وهو يحاول الاختفاء عن عينى الرجل ، وسمع الشاويش يخف السير وراءه صائحًا :

ـ « قلت لك قف ! »

لكن من ذا الذى يطيع أمرًا كهذا ؟

شوارع متلوية يعبرها ، وصوت حذائى الشاويش الثقيلين يلاحقانه ، وفى النهاية لم يعد يسمع شيئًا فواصل الركض إلى داره وقلبه يوشك على الانفجار .. لو كان (محب) مكانه لأدى العمل بشكل أفضل .. أما مع بدانة (تختخ) هذه ...

وأخيرًا استطاع اللحاق بالاجتماع الحالى ..

وفى النهاية سأل (تختخ) الأصدقاء ، وإن اختصَّ (عبير) / (نوسة) بنظراته بالذات :

ـ « الاقتراحات ؟ »

* * *



وسمع الشاويش يخف السير وراءه صائحًا :

- « قلت لك قف ! » . .

٥ـ فلنتســلل ..

صمت الجميع ، وراح كل يبحث عن تفسير مقنع لما سمعه .. المشكلة فى الجلسات من هذا النـوع هى حاجتك إلى أن تقدم آراء طازجة جيدة ، حتى لا تبدو أحمق .. وأحيانًا تطغى رغبة التميز على جـودة الفكر ومنطقها ..

لأسباب كهذه قال (عاطف) :

ـ « الأمر واضح .. المتسول هو الأستاذ (حسين أبو شادى) ذاتـه .. لقد غير من شـخصيته لسـبب لايعلمه إلا الله ثم هو وزوجتـه ، واعتـاد العودة إلى الفيلا ليلاً لسبب مجهول آخر .. »

لم يعلق (تختخ) واستدار إلى الآخرين ، وسأل :

ـ « ما رأيكم أنتم ؟ »

قالت (عبير) :

- « يبدو لى هذا مقنعا .. لعل الرجل هارب من الدائنين أو خطر ما .. ولهذا قام بما فى وسعه كى يتلاشى (حسين أبو شادى) تمامًا .. »

نظر (تختخ) إلى (لوزة) الصغيرة التى كانت آراؤها تروق له دومًا :

- « وأنت ؟ »

ابتلعت ريقها فى حماس شأن الأطفال حين تواتيهم الفرصة لإثبات أنهم ليسوا كذلك ، وقالت :

- « أرى أنه منِ المستحيل أن يعود (حسين أبو شادى) إلى الفيلاَ فى هذا الوقت بالذات .. لابد أنها مراقبة بإحكام .. وهذا يضعنا أمام الاحتمال الثانى : المتسول رجل من رجال المباحث يراقب الفيلاَ ومعروف للبواب والزوجة .. »

من جديد لم يعلق (تختخ) ونظر إلى آخر المغامرين الخمسة ، وقال :

- « (محب) : هل من رأى آخر ؟ »

قال (محب) فى توتر كأنه فى امتحان :

ـ « لا أدرى .. هـذان الرأيـان يبـدوان متعادلـى القوة ، لكنـى أتسـاءل : قد يكون المتسـول متسـولا حقيقيًا وانعقدت صداقة بينه وبين البواب ، بما أن هذه منطقة عمله .. لعل البواب يسمح له بالدخول ، وربمـا احتساء بعض الشاى أو تدخين المعسل .. »

هنا نظرت (عبير) إلى (تختخ) وتساءلت :

ـ « وما رأيك أنت يا (تختخ) ؟ »

انفجر (تختـخ) يضحك فى استمتاع حتـى أثـار غيظهم إلى حد ما ، وبين ضحكاته قال :

ـ « أرى أن أشياء بالغة الوضوح تفوتكم فى هذه الأيام ! »

★ ★ ★

كان اسمه (توفيق خليل توفيق خربوطلى) ، ولهذا اختاروا له الحـروف الأولـى من اسـمه الطويل ليكون (تختخ) ..

منذ طفولتـه عانـى (تختخ) ما يعـانيه أى صـبى بدين مكتنز .. لقد دأبت السينما فى قسوة على تصوير

البدين فى صورة الأكول النهم الداعى إلى الاستخفاف والتهكم ، وصار من واجب الأطفال المقدس أن يجعلوا حياة البدينين جحيمًا ..

لقد تلقى (تختخ)عبارات السخرية ، وتحرش به الجميع ، غير متصورين أنه يدارى تحت طبقات الشحم الكثيفة هذه روحًا مرهفة شفافة .. وهكذا ازداد انكماشًا وتقوقعًا على عالمه الخاص .. عالمه شديد الثراء ..

فى ملعب العقل استطاع (تختخ) أن يتميز ويمتاز ، وغدا قادرًا على إبهار الآخرين والفوز باحترامهم .. المشكلة هى أنه كان دومًا متعطشًا إلى التميز وتقديم الجديد .. ومع كل لغز يحله كان يصعد درجة فى نظر نفسه ، لكن اللغز التالى كان يثير رعبه وقلقه ، خشية أن يسبقه إلى حله أحد ..

ويمكننا بسهولة من القصص أن ندرك أن (تختخ) كان يحتفظ بالمهام الأساسية لنفسه ، ويكتم ما يعرفه حتى لحظة الإبهار الأخيرة ، التى يكشف فيها كل شىء أمام عيون المندهشين وإعجاب المفتش (سامى) الثمين به .. وهذا داء أصيب به كل مخبرى

القصص بدءًا من (شيرلوك هولمز) ومرورًا بـ (هيركيول بوارو) والمفتش (ميجريه) ..

المشكلة الآن هى أن (تختخ) لم يعد (تختخ) القديم .. لقد تدخلت عواصف المراهقة لتزعزع عبقريته ، وفى ذهنه وفؤاده كانت تصطرع ألف عاطفة وعاطفة لتشتت تفكيره تمامًا .. كان يحلم بالحب ويدرك أنه فى الحقيقة يستحقه ، لكن تفصله عن الحب عدة كيلوجرامات من الشحم يستحيل التخلص منها ..

وهكذا وقع (تختخ) الفطين فى الشرك المعروف : أن يحب الحب لا يحب شخصًا بذاته ، ولم يكن هناك شخص مناسب سوى (نوسة) يسمح بتركيب هذه العواطف الجاهزة عليه .. وصارت (نوسة) بالتالى تحتل المسافة بين القلم والورقة .. بين أظفاره وأطراف أنامله .. بين عضلة قلبه والشغاف الذى يغطيها ..

وهكذا لم يعد يملك وضوح التفكير السابق ، وغدا من العسير عليه أن يجد حلاً لهذه القضية فى الوقت الحالى ، لكنه شعر بأن من واجبه أن يكون غامضًا ،

لذا قال ما قاله دون أن تكون عنده أدنى فكرة عن الجواب الصحيح ..

* * *

وتساءل الجميع فى دهشة :

- « ما هى هذه الأشياء التى فاتتنا .. »

فقال فى غموض مضيقًا عينيه :

« لم يكن الحل هذا ولا ذاك .. الحل هو ... ولكنى أفضل الانتظار حتى تكتمل القضية .. »

فى ضيق هتف (محب) ، وكان قد بدأ يمل (تختخ) هذه الأيام :

- « إما أننا نعمل معًا أم لا .. يجب أن تصارحنا بما تفكر فيه .. »

- « لأن هذه الاستنتاجات لم ترق إلى مستوى الحقائق بعد .. ليس أبسط من هذا .. »

ثم نظر إلى (نوسة) وقال مبتسمًا :

- « لقد لاحظت (نوسة) نقطة مهمة فى حديقة الأستاذ

(حسين أبو شادى) ولم تلفت نظر أحد ، لكنى أجدها هى مفتاح اللغز الأساسى .. هل تذكرون ما قالتـه عن النباتات فى الحديقة ؟ كانت هناك رقعة لم تتـم بهـا الزهور كما ينبغى .. لماذا ؟ »

تبادلوا النظرات ولم يعلق أحد ، فأردف :

ـ « لأن تراب الحديقة تم تقليبـه حديثـًا ، ثم تم غرس هذه الزهور على عجل .. هل تعلمون لمـاذا تم تقليب تراب الحديقة ؟ »

هتفت (نوسة) فى رعب :

ـ « لا .. لا تقل .. »

وقال (عاطف) فى حيرة :

ـ « تعنى أن هناك من قتله ودفنه فى الحديقة ؟ »

ـ « هذا مجرد احتمال .. لكنه يستحق البحث .. »

ثم التفت إلى (عاطف) وقال :

ـ « هذه مهمة الأقوياء جسديًا .. الليلة نتسلل إلـى الحديقة ونحاول البحث فيها عن الشىء المدفون هناك ..

هل أكون مبالغًا لو طلبت منك أن تجلب الرفش من حديقتكم ؟ أنا سأجلب رفشى كذلك .. (محب) سيأتى معنا لكنه لن يدخل .. سيكتفى بالمراقبة وإطلاق صوت البومة لو رأى ما يريب .. »

كانت هذه من تقاليد القصص الدائمة .. لابد من صوت البومة كأن هذا طبيعى فى المعادى وكانت (عبير) قد نشأت فى أحياء فقيرة مهدمة كما نعلم ، لكنها لم تسمع قط صوت هذه البومة إلا فى التلفزيون ..

قال (محب) متوترا :

ـ « أعتقد أنها مخاطرة .. التسلل إلى ملكية خاصة ، خاصة وأن منزل الرجل مراقب حتمًا .. »

ـ « سنكون حذرين .. فى النهاية سنتظاهر بأننا أطفال متطفلون .. هذه هى الميزة الوحيدة لأن يكون المرء طفلاً .. »

ثم نهض ، وأعلن أن على الفتيان الاستعداد خلال نصف ساعة ، أما الفتيات فعليهن العودة إلى ديارهن والدعاء ...

وبينما (نوسة) راحلة ، دس خلسة ورقة مطوية فى كفها ..

* * *

المطر .. المطر !

المطر القادر على قهر الجيوش ، ونسف أكثر المخططات إحكامًا .. هو ذا يعلن عن مقدمه بلطف فى البداية ثم بعناد ، ثم بشراسة لا تنم عن تهذيب كبير .. لقد جاء ليبقى وليخرس الشاكون ..

ووقف (محب) يرتجف وينقل ساقيه طلبًا للدفء ، وهو يركن إلى دراجته ، وقال بأسنان تصطك :

ـ « يبدو أن المشروع قد صار جديرًا بالتأجيل .. لن نجد ليلة أسوأ من هذه .. »

بإصرار قال (تختخ) وهو يرفع الرفش :

ـ « بالعكس .. هذه ليلة مناسبة جدًا لأن الجميع سيلزم داره .. ستتحول المعادى إلى ضاحية أشباح ، ولن تكون هناك أسئلة سخيفة . »

كانوا قد أوقفوا الدراجات فى شارع جانبى ، وكان الماء المنهمر يجعل فتح العينين عملية بطولية ، ومن جديد أصدر (تختخ) تعليماته إلى (محب) :

- « لا تنس .. صيحة البومة .. هه ؟ »

- « بمجرد أن أجد مكانًا لا تملأ المياه عينى فيه سأنذركم .. »

واتجه (تختخ) و (عاطف) نحو الفيلا ، وقد حمل كل منهما كشافًا صغيرًا ، ونظر الأول إلى ساعته فوجدها الواحدة بعد منتصف الليل .. لا بأس .. إن الطقس يزداد سوءًا وهذا يطرد المتطفلين ، كما قال (جين كيللى) فى أغنيته الشهيرة (الغناء تحت المطر) ..

« دع السحب الداكنة تطرد الجميع من المكان .. عندها أمشى فى الزقاق مرددًا لحنًا مرحًا .. الشمس فى قلبى ومتأهب للحب .. »

دارا حول سور الفيلا ، ثم أشار (تختخ) إلى بقعة صالحة للتسلق .. كانت هناك على السور الغارق بالماء

بضع قطع من زجاج مهشم ، هى رمز لا أكثر لطرد اللصوص ، لكن فعاليتها ـ كالعادة ـ صفر ..

وتسلق الصديقان المكان بكثير من العسر ، وكان على (عاطف) أن يصعد أولا ، فيعتلى السور ، ثم يمد يده ليتناول الرفشين ويطوح بهما من عَل إلى الحديقة ، بعدها يتبعه (تختخ) ..

تم هذا خلال عشر دقائق .. بعدها وثبا إلى الحديقة ليسقطا فى بركة من الطين الزلق ، وأعلن (عاطف) رأيه فى الموضوع حالاً :

ـ « تبًا !! »

ـ « ششششش ! يجب أن نعرف مكان البواب أولاً .. »

ولم يكن هذا عسيرًا لأن غرفة الرجل الصغيرة كانت مغلقة ، والنور يلتمع وراء زجاج النافذة ، وبرغم هدير المطر المستمر ؛ كان صوت الغناء يتسلل إلى أذنيهما ، مما يدل على أن الرجل يستمع للمذياع ، وفى الغالب هو مصاب بصمم خفيف ..

ـ « يا له من مهمل ! الزوجة وحدها فى الدار وهو

حمايتها الوحيدة ، وبرغم هذا يترك أمثالنا يمرون .. كيف يكون الحال لو لم نكن نحن المتسللين ؟! »

في غيظ همس (تختخ) وهو يتقدم المسيرة :

ـ « فيما بعد يمكن أن نشكوه إلى الإدارة ، أما الآن فهذا في صالحنا .. لو كان أكثر يقظة لرمانا بالرصاص .. »

وتحرك الصديقان وسط الأوحال عبر الحديقة المظلمة ، ولم يكن هناك ما يهديهما إلا الشعاع المنبعث من الكشافين ..

مسح (تختخ) الزهور بالكشاف ، ثم غمغم والماء يسيل من حاجبيه كثيفًا :

ـ « كان علينا أن نصحب (نوسة) هنا .. أين الزهور المختلفة التي وصفتها يا ترى ؟ »

* * *

٦ ـ ليمون وما إلى ذلك ..

(عبير) التى صارت (نوسة) فى غرفتها تفكر ..

عقدت رباط قميص النوم حول عنقها ، ثم دنت من المرآة لتتأمل وجهها .. الحق أنها لم تكن جميلة فى هذه المغامرة .. كان لها وجه عظمى نحيل بارز الوجنتين ؛ ربما هو من أقبح الوجوه التى حملتها منذ عرفت (فانتازيا) .. ثمة نوع من الرقة الرهيفة فى ملامح الوجه ، لكن لا شىء سوى هذا .. بالواقع كانت أقرب إلى (محب) لو أن شعره استطال قليلاً ..

وتساءلت فى حيرة :

ـ « هل يحبنى حقًا ؟ لا أظن .. هو فقط يحب الحب كما يفعل المراهقون جميعًا ، ولم تكن هناك واحدة تصلح سواى ، لأن (لوزة) مجرد طفلة .. »

وتأملت المطر المنهمر الذى يسيل دون انقطاع على زجاج النافذة ، وارتجفت .. أخوها (محب) هناك تحت هذه السيول والبرد القارص .. أخوها و (عاطف) و .. (تختخ) ..

لماذا لم يعودوا ، ولماذا لم يلغ (تختخ) خطته ؟ لأنه عنيد لا يتراجع أبدًا .. لأنه أحمق .. لأنه يمقت أن يكون مخطئًا ..

وتذكرت الورقة التى أعطاها إياها خلسة .. ترى ماذا فيها ؟ كانت تعرف بالتقريب ، لذا آثرت أن تؤجل هذه اللحظة ، لأن قراءة الخطاب ستلقى بمسئولية لا بأس بها على كاهلها : أن تخبر (محب) أو تقول لـ (تختخ) أن يكف عن هذا الهراء ...

تناولت الورقة وفتحتها فى حذر ..

* * *

كانت مليئة بأشياء لا علاقة لها بالحب .. مجموعة من الاستنتاجات المرتبة على طريقة (تختخ) وبخطه :

المرء يختفى لثلاثة أسباب لا رابع لها :

١ - الموت : سواء عن طريق القتل أو الانتحار أو فى حادث . هنا يجب وجود دافع أو وجود جثة أو كليهما . يظل هذا الاحتمال الأرجح ويضع أمامنا مشكلة هى العثور على الجثة . يمكن لمن يموت أن يختار أماكن عجيبة لجثته ، مثل قاع النيل أو الصحراء . هذه مشكلة لا بأس بها .

2 ـ الاختطـــاف : هنا لابد من جهـــة ما تعـــلن مسئوليتها وتطالب بفدية . حتى هذه اللحظة يظل هذا أضعف الاحتمالات ما دام أحد لم يعلن دوره .

3 ـ الهرب : الهرب من الديـــون أو مـــن تهديـــد معين . يظل هذا واردًا بشدة . وعلينا أن ننفى هذا الاحتمال قبل أى شىء آخر .

وخطة العمل كما أراها تتلخص فى النقاط التالية :

1 ـ التأكد من أن الفقيد لم يدفن فى الحديقة .

2 ـ ترتيب عمل دوريات تمسح طريق المطار بحثًا عن جثث ملقاة حيث لايراها أحد . هذا بالطبع يحتـاج لمعونة المفتش (سامى) .

3 ـ التأكد من الحالة المالية للفقيد قبل اختفائه .

4 ـ عمل طعم معين لاجتذاب الفقيد لو كان حيًّا .

(توفيق خليل)

★ ★ ★

قرأت (عبير) السطور ، ووجدت أن كـل هذا قيـل من قبل .. هو فقط مرتب بطريقة منسقة جميلة .. وهـو فـن تحويـل الآراء المبعثرة إلـى منهـج متكـامل محكم .. يبدو أن (تختـخ) لـم يـرد بهـذه الورقـة إلا إعطاءها انطباع الانبهار بذكائه وترتيب أفكاره ..

تأملت الورقة بضع دقائق ، ثم لاحظت أنه وقعها باسم (توفيق) .. هذا غريب وليس من عاداته ، ومن النادر أن يفعلها إلا ليلفت النظر إلى شيء غريب في محتويات الخطاب ...

كان قد فعلها من قبل حين أسره (كمال) في (لغز الشبح الأسود) ، وأرغمه على كتابة خطاب يستدرج به أصدقاءه إلى القصر المهجور .. وكانت (لوزة) هي التي لاحظتها وشمت من الخطاب رائحة الـ ...

الليمون ! هذا الخطاب يفوح برائحة الليمون ..

كان معنى هذا واضحًا وسهلاً .. ثمة خطاب آخر مكتوب بحبر سرى فوق هذا الخطاب المكتوب بحبر عادى ..

غادرت غرفتها واتجهت إلى غرفة الغسيل في الفيلاّ حيث تحتفظ والدتها بالمكواة الكهربية .. كان الوالدان نائمين في عمق ، وهما يحسبان أن (محب) نائم في غرفته .. كيف لو عرفا أنه ينبش حديقة جار في المعادى تحت الأمطار وفي الظلام !

وضعت الفيشة في القابس فتوهج المصباح الأحمر ، وراحت في صبر تنظر أن ينطفئ لتبدأ تسخين الخطاب ...

كان الليمون هو أول حبر سرى تسمع عنه ، ثم عرفت بعدها عصير البصل ، وأخيرًا عرفت (كلوريد الكوبالت) الذى يمكنها الحصول عليه من معمل المدرسة .. كلها تستجيب للحرارة ثم يزول الحبر حين تبرد الورقة ما لم تحترق ...

هنا ـ لشدة غيظها ـ انقطع التيار الكهربى تمامًا !

* * *

وفى الحديقة لاحظ (عاطف) أن النور الكهربى قد تلاشى من نافذة البواب ، فقال (تختخ) وهو يواصل البحث بالكشاف :

ـ « لقد انقطع التيار الكهربى .. هذا ماس كهربى .. لا مشكلة هناك .. هذا يحدث كثيرًا .. »

وأشار إلى جزء من النباتات لا يبدو على ما يرام ، وقال :

ـ « هل ترى ؟ أعتقد أن هذا هو ما عنته حين تكلمت عن اختلاف النباتات .. إن (نوسة) دقيقة الملاحظة ولا تفوتها أشياء كهذه .. »

ابتسم (عاطف) بخبث .. فهو يدرك جيدًا أن (تختخ)

لم يعد يجد مزايا إلا لدى (نوسة) في الآونة الأخيرة .. فيما مضى - حين كان شخصًا طبيعيًا - لم يكف عن إطراء (لوزة) .. لكن (لوزة) الآن أصغر وأكثر طفولة مما ينبغي .. لحسن الحظ كان الظلام دامسًا والمطر كثيفًا فلم يتبين (تختخ) ابتسامة السخرية هذه ..

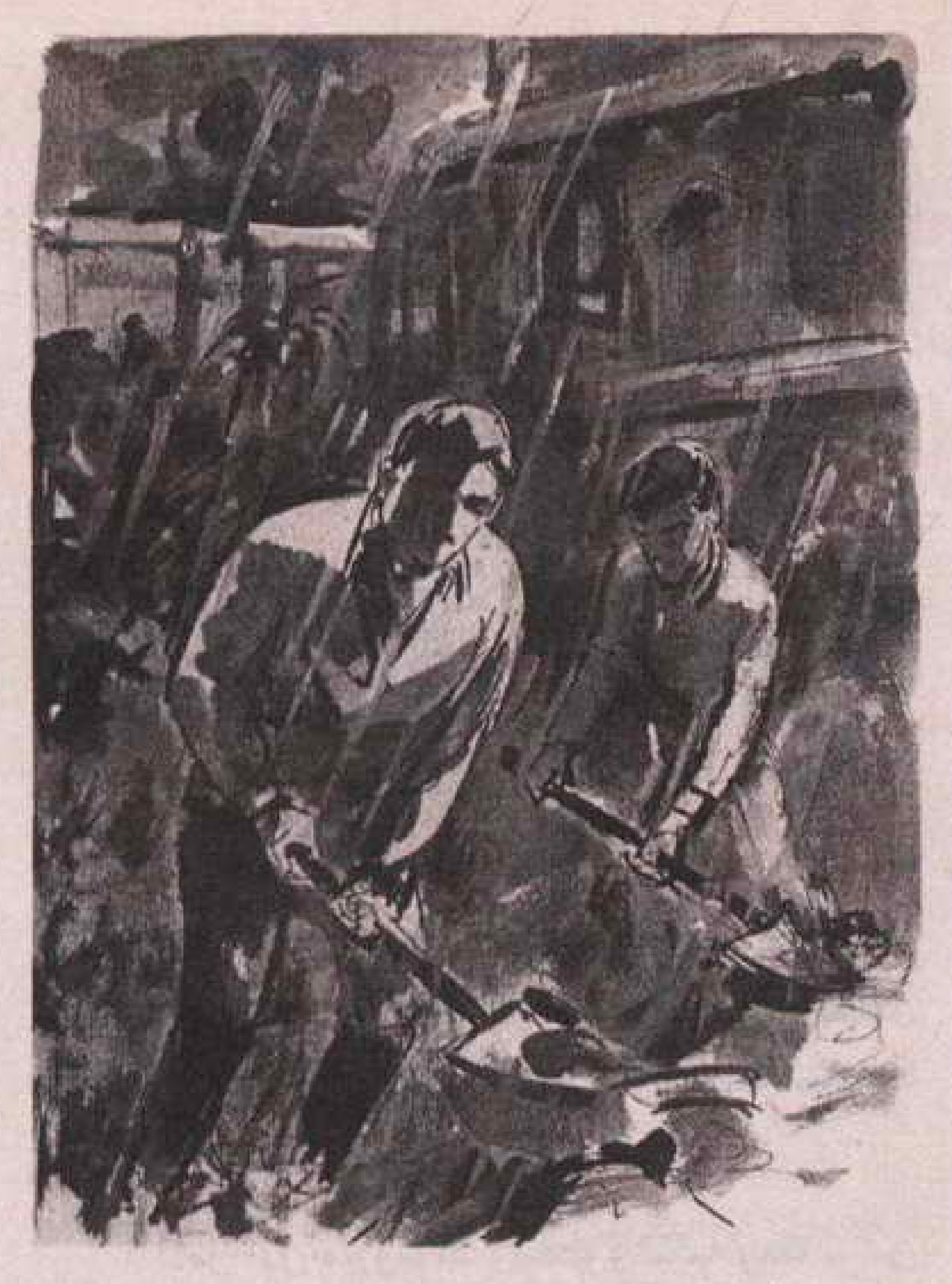
وبدأ الصديقان الحفر في الطين ، وهو بطبعه حفر سهل بالفعل ..

حفر سهل لكنه قذر !

وبصقا الكثير من الطين حتى أن (تختخ) شعر بما شعر به (مكبث) بعد قتل (دنكان) : لو اجتمعت بحار العالم كي تغسل هذا الدم - الطين في حالتنا هذه - ما استطاعت ..

بعد دقائق بدآ يتبينان شيئًا ما ...

* * *



وبدأ الصديقان الحفر فى الطين ، وهو بطبعه حفر سهل
بالفعل .. حفر سهل لكنه قذر !

٧ ـ هابيوس كوربوس ..

بيد مرتجفة مررت (عبير) المكواة الحديدية على الخطاب عدة مرات ، بعد ما عاد التيار الكهربى ، وبدأت الحروف البرتقالية الباهتة تكشف عن نفسها على استحياء :

ـ عزيزتى (نوسة) :

« هذا أول خطاب أكتبه لك فى حياتى ، وإن كنت قد شممت رائحة الليمون ، كما أتوقع ، فإننى فخور بك كما أنا دائمًا .. »

« الموضوع هو ببساطة أننى لم أعد أحمل لك مشاعر الصديق ولا الأخ ولا الزميل .. إننى أحمل مشاعر من نوع مختلف ، أعتقد أنه يمكنك تخمينها دون أن أقولها .. »

« الأمر الآن متروك لك والخطوة التالية بيدك .. لن أصدع رأسك بالكلام عن السهاد الذى أعانيه ، ولا لاحتراقى

ولهًا وشوقًا .. سأقول فقط إننى سأكون سعيدًا لو قبلت حبى ، وهو حب لم يكن وليد اللحظة بل هو نتاج سنوات طويلة ومغامرات لاحصر لها واجهناها معًا .. لقد عانينا معًا وفرحنا معًا ، ولم يعد تتويج هذه الخبرة بما هى جديرة به إثمًا أو حماقة ..

« أنا بانتظار ردك .. ولن يكفينى خطاب واحد لأننى لا أيئس .. فقط ستكون كلمة الرفض القاطع النهائى هى نقطة التوقف لى ، فلا تقوليها أرجوك إلا بعد تفكير ممحص ، لأنك ستقتلين بها ملايين الأشياء الرائعة التى أدخرها - كبخلاء الجاحظ - لك ..

تختخ »

انتهت من قراءة الخطاب ، وكانت السطور الأولى قد بردت بعد التهابها السابق .. بردت عاطفيًا وبردت فيزيائيًّا ، مما جعلها تتلاشى ببطء .. وفى روح (عبير) بدأ صراع العواطف الشرس ...

فى البدء كانت عاطفة الغضب : من يظن نفسه هذا الأحمق كى يغازلنى ؟! ألاعيب المراهقة تلك .. يحاول تركيب عواطفه على أية فتاة .. أنا أكبر منه وأكثر نضجًا وأفهم ما يأبى الاعتراف به لنفسه ..

ثم بدأت عاصفة الإعجاب تفصح عن نفسها : أفكاره متماسكة ويعبر عن نفسه ببراعة لاتناسب سنه .. ربما لأنه صبى مختلف فى كل شىء .. برغم كل شىء هناك الكثير من التحضر والنضج فى الخطاب ..

بعدها بدأت سيطرة الشفقة : هذا البائس يحتاج بشدة إلى حب ..

ثم الفخر الأنثوى : كم من فتاة فى سنى تلقت خطابًا كهذا ومن عبقرى مثل (تختخ) ؟ بالطبع فى عالم الواقع لم تتلق (عبير) أى خطاب عاطفى أو غير عاطفى ..

ثم عاطفة النفور تسود : أنا لا أريد .. ككل فتاة كان لـ (نوسة) فارس أحلام ، وبالتأكيد لم يكن بادنًا شحيمًا له ذقن مزدوجة ..

الخلاصة هى أن (نوسة) ـ ككل فتاة مراهقة ـ لم تعرف حقًا ما تريده ، ولم تدر كيف تشعر .. فقط أجهشت بالبكاء الحار وهمست :

ـ « يا إلهى .. يا إلهى ! »

وراحت تفكر فى الحل الأفضل .. طبعًا ليس واردًا أن يرى (محب) بعصبيته الشهيرة هذا الخطاب .. لن تفسد بحماقتها تلك الصداقة التى دامت أعوامًا ..

أما عن ردها على (تختخ) فالأمر هين .. ستتظاهر بأنها أكثر غباء مما ظن ، ولسوف تزعم أنها لم تر شيئًا ولم تقرأ الخطاب بالحبر السرى .. وكذا طوت الورقة بين صفحات كتاب العلوم ، ووقفت ترمق الحديقة التى ما زالت تستحم بالغيث فى الظلام .. تفكر فى الرجال الغائبين ، والجنود الذين لم يعودوا من الجبهة بعد ..

* * *

وكان الجنديان الرئيسيان فى هذه اللحظة عاكفين ـ وقد توقفت الأمطار ـ على فحص ما وجداه ، ولم يكن مثيرًا للبهجة ..

فى البدء أخرج (تختخ) أجزاء من روب منزلى ممزق ، وعلى ضوء الكشاف رأيا بقعًا من دماء عليه .. ثم وجدا أجزاء من منامة ممزقة بدورها .. ثم خفًا منزليًا مما ينتعله الرجال .. كل هذا كان معجونًا بالأوحال لكن من السهل تبين كنهه ..

تبادلا النظرات، واتسعت عينا (عاطف) رعبًا.. هذا ما كانا يتوقعانه دون زيادة ولا نقصان.. المهم هنا أنهما لم يجدا الجمجمة المفزعة إياها ترمقهما بضحكة الموت الرهيبة..

قال (تختخ) وهو يكوم الأشياء تحت إبطه:

- « هذا كاف الآن.. تعال نعد »

وهرعا إلى السور يتسلقانه.. فجأة هتف (عاطف) وهو يشير إلى المنزل الجاثم عبر الحديقة:

- « (تختخ).. إن الباب قد فتح لثانية وكان هناك من يقف وراءه! »

- « هذا لن يغير خطتنا بصدد الفرار.. هيا بنا! »

وتسلق الاثنان السور بكثير من الجهد، بسبب أنه صار زلقًا كالزجاج، بعد كل هذه الأمطار.. وأخيرًا اعتليا السور، وقذفا بالرفشين من علٍ، ثم وثبا إلى الأرض، لتنزلق قدماهما على الأسفلت المبتل.. كانت سقطة عنيفة بحق..

أسرعا إلى الشارع الجانبى ركضًا حيث كان

(محب) البائس ما زال بالانتظار، تعسًا مبتلاً كالدجاجة التى سقطت فى ماء شربها ..

- «تبدوان كديدان الأرض حين تخرج من الطين ....»

هنا دوت صرخة عاتية آمرة من حيث الفيلاّ :

- «قف مكانك !»

لم ينتظروا للتفاهم، وقبل أن يصل القادم ليراهم ركب الأصدقاء الثلاثة دراجاتهم، واندفعوا يسابقون الريح وسط الشوارع المبتلة غير الموحلة .. فشوارع المعادى لاتعرف الأوحال .. وهو مشهد يذكرنا نحن بمطاردة الدراجات فى المشهد النهائى لفيلم (إى تى) الذى لم يكن قد جاء للوجود فى تلك الأيام ..

بعد ثوان كانوا قد ابتعدوا عن مطاردهم، ووصلوا لديارهم ..

قال (تختخ) وهو ينفصل قاصدًا داره :

- «هذه الليلة حمام دافئ ونوم .. فى الصباح نلتقى عند (محب) لدراسة ما توصلنا إليه»

واتجه للحديقة كى يبدأ تسلق الشجرة إياها إلى حجرته .. بينما انفصل الأصدقاء كلٌ عائد إلى داره ..

* * *

فى الصباح يحتشد الكل فى حديقة بيت (محب) .. من الغريب أن تكون الشمس ما زالت حية وقادرة على كل هذا الدفء ، بعد الليلة الرهيبة الفائتة .. شمس الشتاء بارعة الحسن التى يفور الدم منها فى العروق .. الوجوه المنتعشة الخارجة من ياقات (البول أوفرات) ترشف الشيكولاتة الساخنة وتتكلم بحماس عما كان أمس .. ثلاثة منهم بدأت أنوفهم تسيل لأسباب لاتخفى على أحد ..

فوق المنضدة التى تتوسط المكان توجد منضدة عليها جريدة مفتوحة .. والجريدة تحوى أشياء غريبة : أجزاء من روب منزلى ممزق ، وبقع من دماء عليه ، وأجزاء من منامة ممزقة بدورها .. ثم خف منزلى مما ينتعله الرجال ..

كان لهذه الأشياء رهبة حقيقية ، كأنما هى جثة محنطة ترمقهم بعينين شاخصتين .. وقال (تختخ) وهو يتأمل المشهد :

ـ « هذا هو كل شىء .. لقد غسلت الأوحال بالطبع .. »

وعلى طريقة المغامرين الخمسة ، بدأ تبادل الحوار كما فى المسرحيات ، وهو فن يجيدونه بصفة خاصة ..

لوزة : لكنك قد أزلت البصمات بهذه الطريقة ..

تختخ : لا أحد يتكلم عن البصمات بالنسبة لأشياء مدفونة فى الطين منذ أسابيع .

عاطف : من المؤكد أنها تخص الأستاذ (حسين أبو شادى) .. لاجدال فى هذا .

محب : لقد صار من واجبنا إبلاغ المفتش سامى .

نوسة : لكن هذا دليل على أننا تسللنا إلى ملكية لاتخصنا ، وهذا أمر غير قانونى .

عاطف : هذا ليس مبررًا لإخفاء آثار مهمة كهذه . إن الضرورات تبيح المحظورات ، وما كان لنا أن نجد دليلاً مهمًا كهذا دون تسلل .

تختخ : فى الغالب لن يعاقبنا المفتش سامى على تسللنا ، لكنه سيجنّ غضبًا لو كتمنا سر ما وجدناه .

نوسة : هل تسمحون لى بخدمة ؟

تختخ : أى شىء .

نوسة : هلا توقفنا قليلاً عن طريقة الحوار المسرحية هذه فأنا لم أعتدها .

تختخ : ليكن .

تنهدت (نوسة) الصعداء وشعرت براحة حين صار بوسعها الكلام بطريقة عادية، وصار كلامها مسبوقًا بشرطة ومحاطًا بعلامتى التنصيص .. قالت :

ـ « هل تعتقدون أن هذا يقودنا إلى الجثة الكاملة ؟ »

ـ « فى الغالب نعم .. وهذا يضيق دائرة البحث لتقتصر على البواب النوبى والزوجة .. »

ـ « ولماذا تقتله الزوجة ؟ »

ـ « للحصول على مبلغ التأمين . ألا تقرئين قصصًا بوليسية ؟ »

فكرت قليلاً ثم قالت دون اقتناع :

ـ « هل تحصل على التأمين من دون جثة ؟ »

كانت هناك قاعدة رومانية قديمة اسمها (هابيوس كوربوس)(*) أى (أظهروا الجثة) ، ومن دونها يغدو اتهام القاتل بالقتل ظلمًا بينًا .. ويصير إطلاق سراحه حتميًا ..

(هابيوس كوربوس) .. من دونها يصعب اتهام الزوجة ، ومن دونها يصير حصولها على مبلغ التأمين مستحيلاً ..

هنا هتف (تختخ) فى توتر وهو يلف أطراف الجريدة على ما وجدوه :

- « الشاويش (على) قادم .. خذوا الحذر ! »

★ ★ ★

(★) ذكرها الكاتب الكبير (محمود السعدنى) على لسان الدكتور (لويس عوض) .. والواقعة مذكورة فى كتاب (الطريق إلى زمش) ..

٨ـ الأرملة تهرب ..

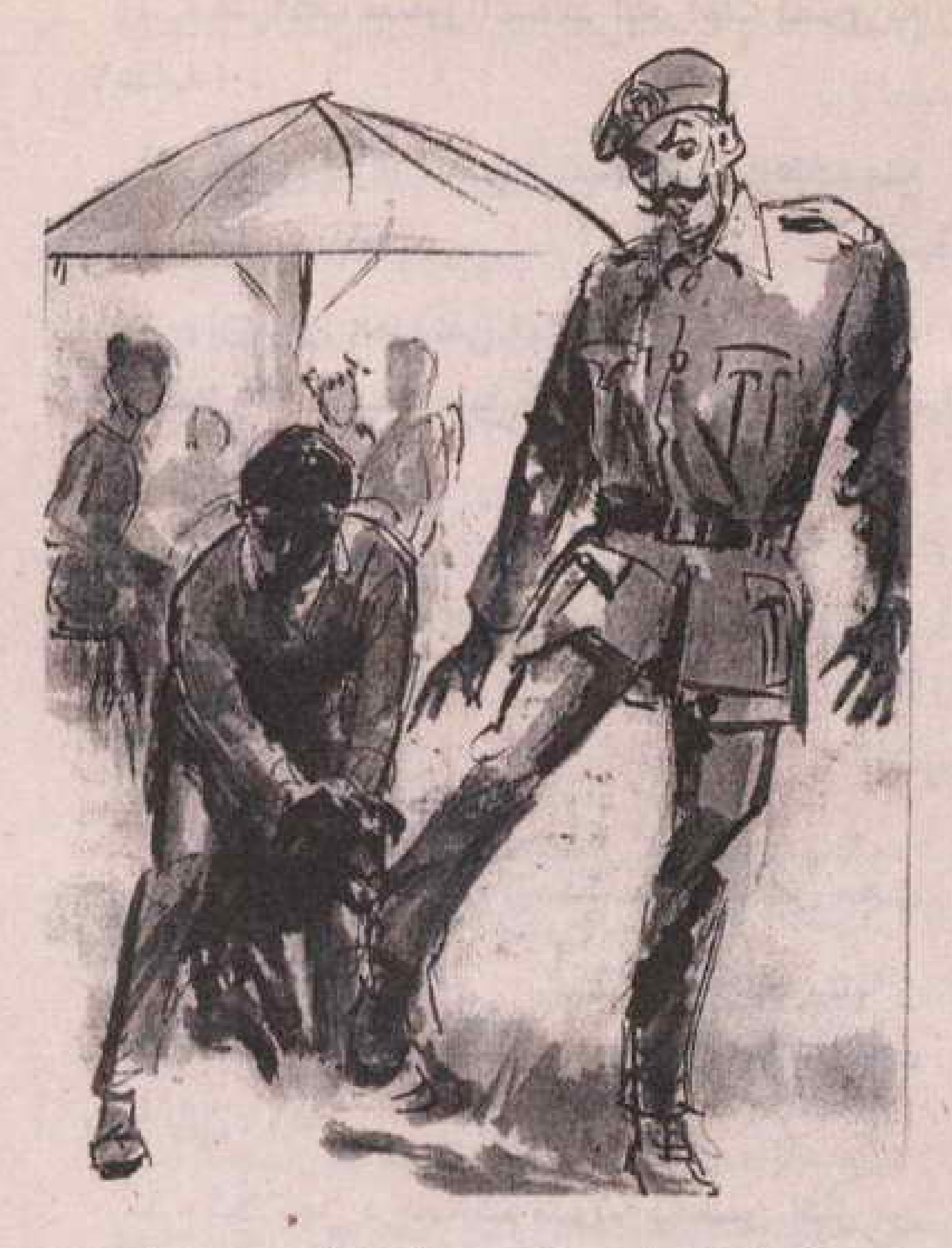
ساد صمت رهيب بينما هم يتأملون الشاويش وهو يدخل إلى الحديقة .. بشكل ما كانوا يعرفون موضوع المناقشة وربما اللوم ..

رأوه يقف عند المدخل حيث ربطوا دراجاتهم ، فيتأملها فى اهتمام ، ثم ينحنى ليتفحص الإطارات ، وكان معنى هذا جليًا ..

هنا استيقظ (زنجر) ـ كلبهم ـ من قيلولته الممتعة فى الشمس ، وقرر أن يمارس هوايته المحببة فى عض ساقى الشاويش .. انقض عليه نابحًا فراح الشاويش يصرخ ويركل بساقيه مرددًا بلهجته الريفية :

ـ « فرقع من هنا أيها الكلب الأحمق ! »

نهض (تختخ) من مكانه ، وجذب الكلب من عنقه ليهدئه بينما الشاويش لايكف عن الشتائم والتهديد ، وقد احمر وجهه كالطماطم :



نهض (تختخ) من مكانه ، وجذب الكلب من عنقه ليهدئه
بينما الشاويش لا يكف عن الشتائم والتهديد . .

- « هذا الكلب مسعور ! سأتخذ الإجراءات الضرورية لإعدامه ! »

قال (تختخ) وهو يحتضن كلبه ، بثبات اعتاده مع الشاويش :

- « لن يجرؤ أحد على إيذاء كلبى .. كل ما هنالك هو أنه رآك تقتحم الحديقة بلا استئذان يا حضرة الشاويش ! »

هنا ابتسم الشاويش بخبث وتأمل وجوههم :

- « هل حقًا أنا أول من يقتحم الحدائق بلا استئذان ؟ »

فى ثبات سأله (تختخ) :

- « أنت أولهم .. هل تتحدث عن شخص معين يا حضرة الشاويش ؟ »

قال الشاويش وهو يتأمل وجوههم بحثًا عن أول وجه يلين ، وقال :

- « ثلاث من دراجاتكم ملوثة بالطين أكثر من اللازم .. من المستحيل أن يحدث هذا اليوم .. هل

كان ثلاثة منكم فى مكان ما ليلة أمس ، فى أثناء العاصفة إياها ؟ »

لم يكن الأصدقاء ممن يكذبون .. هنا تصير للصمت قيمته .. لذا قال (تختخ) وهو يعود لمقعده :

- « لسنا مطالبين بالإجابة .. إن انساخ الدراجات ليس تهمة يعاقب عليها القانون »

- « لكن التسلل لديار الآخرين تهمة عقابها السجن .. هل كان أحدكم فى حديقة الأستاذ (حسين أبو شادى) أمس ؟ أنا كنت فى الحى ورأيت ثلاثة يثبون على السور خارجين من الفيلا .. وبرغم الظلام بدا لى منظرهم مألوفًا .. »

لم ير بوضوح .. هكذا فكر (تختخ) .. لقد وثب اثنان ليلحقا بالثالث .. على كل حال كان هذا حظًا سيئًا ، لكن الإنكار ما زال واردًا ..

قال (تختخ) فى برود :

- « بدلاً من التحرش بنا يا شاويش ، لم لا تبذل بعض الجهد لتنظيف المعادى من اللصوص ؟ هل سرق شىء من فيلا الأستاذ (حسين أبو شادى) ؟ »

- « لا .. بالواقع لم تتقدم زوجته بالشكوى ، وأصرت على أن كل شىء على ما يرام .. أصررت على الدخول وتفقد الحديقة .. كانت هناك آثار حفر واضحة فى الوحل .. لا أدرى عم كانوا يبحثون ، لكن يبدو لى أنهم وجدوه .. »

ثم ثبتت عيناه على الجريدة الموضوعة مطوية فوق المنضدة .. لو أن للنظرات قوة الفعل لاستطاع تمزيقها ليرى ما بها ..

كانت (عبير) هى الجالسة عند طرف المنضدة البعيد عنه ، لذا - دون كلمة واحدة - فتحت اللفافة بدون أن تكشف ما بها ، وتظاهرت باقتطاع شىء ثم أخرجت يدها ودستها فى فمها ، وراحت تمضغ ببطء .. تذكرت على الفور ما فعلته الطفلة (فاتن حمامة) فى أول أفلامها (يوم سعيد) ، وكان عليها أن تلتهم الفت فى أثناء أحد المشاهد .. فرغ ما بطبقها سريعًا لكنها ببراعة واصلت الأكل والمضغ حتى لا يفسد المشهد .. كانت (فاتن حمامة) فى السابعة من عمرها وقتئذ ، لكنها ابتكرت فن (البانتومايم) قبل أن تسمع عنه ..

الحقيقة هنا أن (عبير) اكتشفت أنها عبقرية فى فن التمثيل الإيمائى هذا ، وقالت للشاويش بفم ملىء :

ـ « بسم الله ! إنه إفطارى .. هلم مد يدك »

ـ « سبقتك .. شكرًا »

ثم بحث عن شىء يضيفه فلم يجد .. هنا قرر (تختخ) أن يحول الموضوع باتجاه آخر :

ـ « ما هى أخبار زوجة الأستاذ (حسين) ؟ »

قال الشاويش فى ملل ، وهو يرمق شهية (عبير) الفائقة :

ـ « ماذا يهمكم فى الأمر ؟ على كل حال هى قد يئست تمامًا من العثور على بعلها ، وتنوى ترك البلاد هذا الأسبوع .. »

تبادل الجميع نظرات مندهشة .. أبهذه السرعة إذن ؟ لو كانت الزوجة هى من ارتكب الجريمة ، فنحن دانون مما يوشك أن يكون الجريمة الكاملة ، ويجب أن يعرف المفتش (سامى) كل شىء سريعًا ..

ـ « هل ستلحق بأحد ولديها المقيمين فى الخارج ؟ »

- « لا ندرى .. هذا شأنها على كل حال .. »

تساءل (تختخ) :

- «وماذا عن الفيلاّ ؟ وماذا عن مبلغ التأمين ... ماذا عن حقوقها المالية ومعاش زوجها وما إلى ذلك ؟ »

قال الشاويش :

- « إن محاميها مفوض بالقيام بكل شىء .. يمكنه تولى الأمور خيرًا بالتأكيد من هذه البائسة التى لا تفقه شيئًا .. »

ثم تذكر ما جاء من أجله من جديد :

- « الويل لمن أراه منكم قرب فيلاّ الأستاذ (حسين أبو شادى) .. نحن لا نمزح .. والقضية كبيرة لا تتعلق باختفاء قطعة جاتوه من الثلاجة ، فلا تحاولوا لعب تلك الألعاب السخيفة التى تلعبونها .. »

وانصرف فى غضب كعادته .. نادرة هى المرات التى لا ينصرف فيها الشاويش غاضبًا لأى سبب ..

بعد ما رحل ساد الصمت لبرهة ، وقال (تختخ) فى إعجاب موجهًا كلامه لـ (نوسة) :

- « سرعة بديهة تحسدين عليها .. لم تكن إلا ثانية ، ويسألنا بعدها عن محتوى اللفافة ، وهذا أمر بالغ الحرج .. »

وفى ذهنه همس : ليتها تقبل .. ليتها ! إننى أراها أجمل الفتيات لكنها أنكاهن أيضًا ..

قال (محب) فى عصبية :

- « الطير يوشك على الفرار .. »

- « هذا حق .. وقد صار إبلاغ المفتش (سامى) واجبًا .. »

بعد لحظة صمت قال (تختخ) شاردًا :

- « مازال هناك جزء ناقص من الصورة .. لماذا لم تتدخل الزوجة لمنعنا أمس إذا كانت قد رأتنا من فرجة الباب ؟ »

قال (عاطف) فى نفاد صبر :

- « الأمر واضح .. لم تكن بحاجة إلى شوشرة .. ولنفس السبب لم تقدم شكوى ما للشاويش .. »

عاد (تختخ) يفكر بصوت عال :

ـ « هل تجدان من الطبيعى أن تقتل الزوجة زوجها إذا كانت من الطراز الذى تصفانه ؟ سيدة مجتمع فاضلة يحبها الجميع ، ولا توجد خلافات بينها وبين زوجها ؟ »

قال (نوسة) / (عبير) :

ـ « اسمع يا (تختخ) .. يصعب القول إننا نعرف الكثير عن تلك الأسرة .. والدى يعرف الرجل جيدًا ، لكن لا أمى ولا أنا ولا (محب) نعرف المرأة جيدًا ، وأنا لم أرها منذ أعوام .. قد يحدث أى شىء وقد يستجد ما لانعلم .. »

وقال (عاطف) :

ـ « نحن عمليًا نجهل كل شىء عن الخلافات التى تحدث تحت سقف ذلك البيت .. أبى يتشاجر وأمى كثيرًا ، ثم يلقيان الضيوف بوجه باسم وروح دعابة وتفاهم عاطفى كامل .. »

وأضافت (نوسة) / (عبير) وهى أكبر الخمسة ثقافة :

ـ « كما يقول (ألفريد هتشكوك) دائمًا : كل إنسان قد يقتل فى لحظة ما .. لايجب أن يمشى القاتل بيننا

ملوثًا بالدماء وفى يده خنجر .. القاتل قد يكون سيدة مجتمع فاضلة يحبها الجميع ، ولاتوجد خلافات بينها وبين زوجها كما تقول »

قال (تختخ) بعد صمت طال :

ـ « يجب أن نزور الفيلاّ جميعًا ونجلس مع هذه السيدة .. »

ـ « والهدف ؟ »

ـ « إن الجلوس معها سيخبرنا ما إذا كانت فعلتها أم لا .. نظراتها ستعترف .. أضف لهذا أن علينا معرفة ما إذا كانت ستميزنى و (عاطف) أم لا .. »

ـ « هذه مخاطرة .. »

ـ « لكنها ضرورية إن كان لنا أن نمنح المفتش (سامى) ما هو أكثر من الشكوك .. »

ـ « وحجة الزيارة ؟ »

ـ « علمنا بدنو سفرها .. هذا مبرر كاف .. »

ونهض الجميع إيذانًا بالانطلاق ، وتأخرت (نوسة) قليلاً فدنا منها (تختخ) ليكلمها ، لكنها ناولته الورقة التى أعطاها إياها أمس ـ قبل أن يفتح فاه ـ وقالت :

- « استنتاجات لا بأس بها يا (تختخ) .. »

بخيبة أمل تأمل الورقة فى يدها ، وقال وهو يقربها من أنفه :

- « ألم يلفت نظرك شىء ما فيها ؟ »

- « بلى .. لقد غيرت شكل كتابتك لحرف التاء .. هذه التغييرات تحدث فى سن المراهقة كثيرًا ! »

ودون كلمة أخرى ركبت دراجتها ، وانطلقت لتلحق بالأصدقاء ..

★ ★ ★

٩ ـ فى دار الأرملة ..

أدخلهم البواب النوبى وهو يتساءل فى سره ونظراته عن سبب هذا الزحام .. كان يعرف (محب) و (نوسة) وهذا جعله لايتساءل أكثر ..

دخلوا إلى الحديقة ، وكانت ما زالت موحلة من جراء أمطار أمس ، فهمست (عبير) فى حدة :

ـ « انزعوا الأحذية على الباب إذا أردتم ألا يلقى بكم خارجًا ! »

قرعوا الجرس ونزعوا الأحذية .. ها هى ذى السيدة (سلوى) قادمة .. تفتح الباب وتندهش لرؤيتهم ، ثم تقرر أن تسمح لهم بالدخول ..

لم ير (تختخ) ما يريب فى وجهها ، فقد كان يحمل بقايا جمال ذبل ، ولم يكن يحمل شكوكًا فيه أو فى (عاطف) ..

فى الداخل كان المكان ينم عن ذوق لابأس به ،

لكن الإهمال بدأ يتسرب إلى كل شيء .. كانت هناك قطع ثياب ملقاة فى الصالة ، وحذاء أنثوى ملقى بإهمال جوار البيانو ، وفى الصالون وجدوا بقايا وجبة إفطار على المنضدة الرخامية السوداء الموجودة فى المركز ..

هذا طبيعى .. فالمرأة لاتملك خدمًا ، ولابد أن مزاجها لم يعد رائقًا سواء قتلت زوجها أو فقدته ..

فى تهذيب سألت (محب) عن مرافقيه ، فقدمهم لها .. إنهم أصدقاء قدامى ونحن لم نفترق قط منذ سنوات عديدة ..

وسألها (محب) فى تهذيب :

- « هل صحيح أنك تنوين الرحيل قريبًا ؟ »

مدت يدها إلى منديلها .. وبدا واضحًا أنها تحاول التماسك ، لكن الدمعة تسللت إلى وجهها الصلب فسالت على خدها :

- « الواقع أن هذا صحيح .. لقد فهمت أننى لن أرى زوجى ثانية .. هذا واضح ومن الحمق أن أزعم

سوى هذا .. لقد صار البيت أضيق مما تحتمل ذكرياتى ، لكنه أوسع مما تحتمل وحدتى .. لقد حان أوان الرحيل .. »

أدموع تماسيح هى ؟ هذا هو الخاطر الذى جال برأس الجميع .. لو كانت هى القاتلة فهى بارعة فى التمثيل حقًا .. ولكن من يستطيع التأكد ؟ لا سبيل إلا المفتش (سامى) وقدرته على الضغط ...

جلس (تختخ) يتأمل القاعة ، وكانت هناك صورة على الجدار ، يبدو فيها رجل يبتسم ببلاهة ، وله شعر طويل .. سألها فى رفق :

- « هل هذا هو الأستاذ (حسين أبو شادى) ؟ »

ابتسمت وقالت فى حزن :

- « من سواه ؟ »

- « ظننته أصلع الرأس كما قالوا .. »

- « لا أحد يولد أصلع يا بنى .. هذه صورته فى الثلاثينيات حين كان محتفظًا بشعره ، وكانت الموضة وقتها تقضى بإطالة شعر رأس الرجال ثم لصقه

بالبريانتين .. أنت ترى أفلام (أنور وجدى) القديمة حين كان ينفعل فيستطيل شعر رأسه فجأة ، ويسقط على عينيه ! »

وراق لها الموضوع فنهضت إلى مكتبة جدارية فتناولت ما بدا لهم كألبوم صور من الطراز القديم الذى كانت الصور تلصق على صفحاته ، وجلست ودعتهم للجلوس حولها ليروا تلكم الصور العتيقة .. كلها كانت بذلك الطابع البنى الزيتونى الخشن المميز لأيام كانت الكاميرا فيها تسمى (فوتوغرافيا) ..

- « هذه فى حفل تخرجه .. وهذه صورة زفافنا .. هذه فى نزهة فى القناطر .. »

إلى آخر هذا الهراء المعتاد .. لكن الأصدقاء أدركوا أنها كانت فاتنة بحق فى شبابها .. صورتها أقرب إلى صور (ريتا هيوارث) و (إستر وليامز) وغيرهما من نجمات (هوليوود) القديمات .. وكانت هناك عدة صفحات خلت من الصور عمدًا ، لأن علامات لصق الصور كانت موجودة ، ثم توقفت عند صورة تمثل مجموعة من الشباب - بعضهم مطربش

وبعضهم عارى الرأس ـ يتضاحكون وأحدهم يلقى بالآخر على منضدة متظاهرًا بخنقه ، وسألت (محب) :

ـ « هذه فى احتفال تخرجنا فى المدرسة السعيدية .. هل تعرف من هذا الذى يخنقونه ؟ »

تأمل الصورة فى اهتمام ثم غمغم :

ـ « لا أعرف .. كل الشباب يلتقطون صورة كهذه .. »

ـ « هذا أبوك فى شبابه ! »

قالتها فى استمتاع ، فبدا الذهول على (محب) و (نوسة) .. إذن أبوهما الصارم كان يعرف كيف يمزح ، ولم يولد مقطبًا كما يحلو له أن يظهر أمامهما .. وكانت هناك عدة صفحات أخرى خالية ثم بدأت صور الطفلين تملأ الساحة .. بعض الصور كانت متناثرة لم تُلصق ، لذا راحت تضعها فى حجر ثوبها حتى تفرغ من تصفح الألبوم ..

كانت هناك أوراقٍ عتيقة ما بين الصفحات .. توقفت عندها قليلاً ثم ارتجفت شفتها السفلى ، وغمغمت :

- « لم يعد يهم الآن ! »

ثم مدت يدها لتتناول عود ثقاب من علبة على المنضدة، وأشعلته، وأمام عيون الأصدقاء المذهولة أحرقت طرف الأوراق ..

تساءل (عاطف) فى دهشة :

- « ماذا تحرقين يا سيدتى ؟ »

راحت تتأمل الجذوة المتزايدة التى تأتى على الأوراق شيئًا فشيئًا، وهمست فى شرود :

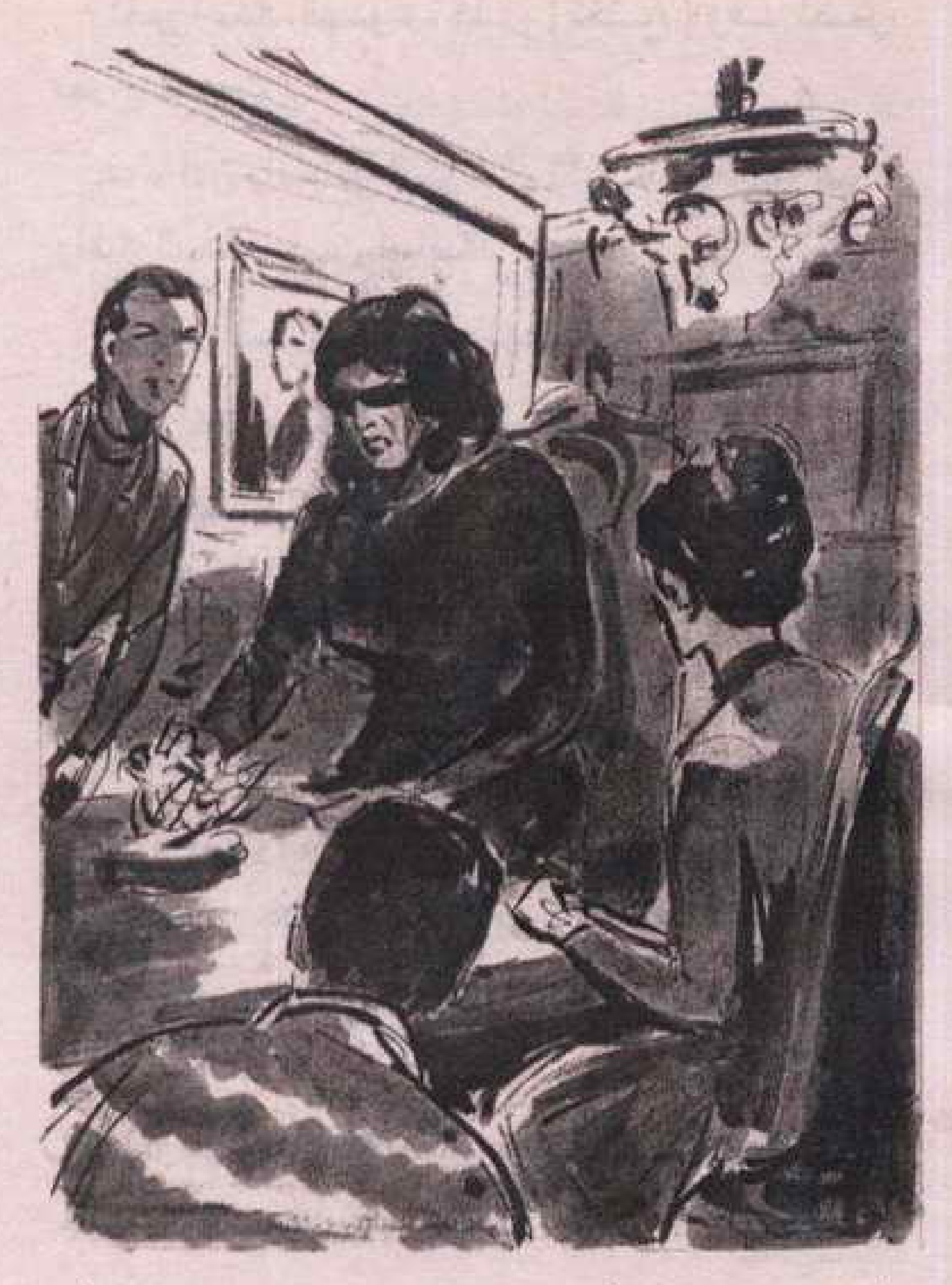
- « أوراق خاصة لم تعد لها أهمية .. »

أخيرًا دنت النار من أناملها فوضعت الكومة الملتهبة فى مطفأة تبغ معدنية أمامها، وراحت مفتونة ترمق النار حتى انتهت، ثم نهضت لتفتح النافذة لتزيل الدخان المتراكم ..

- « أضحى بذراعى كى أعرف ما كان محتوى تلك الأوراق ! »

قالها (تختخ) همسًا لـ (عبير)، فهمست بدورها :

- « لن نعرف أبدًا .. يمكنك الاحتفاظ بذراعك ! »



أخيرًا دنت النار من أناملها فوضعت الكومة الملتهبة فى مطفأة
تبغ معدنية أمامها ..

أخيرًا ساد الهدوء، فقال (تختخ) وقد أحس بحرج الصمت :

- « الآن ياسيدتى نرجوك أن تأذنى لنا بالانصراف .. ونشكرك على حسن استقبالنا .. »

هزت رأسها وابتسمت ونهضت، وهى تغمغم :

- « لكنكم لم تشربوا شيئًا .. »

- « كفانا الحفاوة وألبوم الذكريات هذا .. »

وفى سره همس : كان بوسعك أن تقدمى لنا شيئًا لو أردت .. فلا تتظاهرى بالعكس ..

قالت السيدة لـ (محب) :

- « المعروف الوحيد الذى أطلبه منكم هو ألا تخبروا أحدًا بقرب رحيلى .. لاتخبر والدتك فأنا قد كففت عن مقابلة معارفى جميعًا .. لاتجعلوا الأمور أصعب علىَّ »

وخرجوا من الفيلاَّ، فأمسك كل منهم بدراجته يمشى جوارها، وراحوا يتبادلون الآراء عن هذه الزيارة ..

قال (محب) :

« كما ترون هى سيدة لطيفة .. وإن كنت أتساءل عن سبب مقابلتها لنا ما دامت اعتزلت الحياة ؟ »

قال (تختخ) فى ثقة :

ـ « لم تكن هذه الزيارة إلا محاولة لطرد بعض الأفكار من أذهاننا .. وأؤكد لك أنها تعرفتنى و (عاطف) ، وقد دعتنا إلى الداخل كى ترينا أنها حزينة مخلصة حقًا لو فكرنا فى شىء ما .. »

ـ « وحرق الأوراق أمامنا ؟ كان بوسعها أن تؤجل هذه الخطوة إلى ما بعد رحيلنا .. »

ـ « لن نعرف أبدًا ، لأننا لا نعرف محتوى هذه الأوراق .. »

وبعد صمت أردف وهو يركب دراجته :

ـ « لابد من الاتصال بالمفتش (سامى) الآن .. ليس من سلطتنا منع المرأة من السفر .. »

وقبل أن يرحل همس لـ (نوسة) :

ـ « افتحى نافذة حجرتك فى الثامنة مساءً .. لا تنسى هذا ! »

★ ★ ★

١٠ ـ اختطاف أم ..

فى الرابعة بعد الظهر توقفت سيارة المفتش (سامى) أمام بيت (تختخ)، وكان (تختخ) ينتظر الرجل، وقد أعد جلسة فى الفناء الخلفى، وأعد -بالطبع- الكيس الذى وضع فيه ما وجده فى الحديقة ..

قال المفتش :

- « كالعادة يا (تختخ) أنت تسبقنا أو تتحرك معنا بنفس السرعة .. »

وأفرغ محتويات الكيس على المنضدة، وراح يتأملها فى اهتمام، ثم قال بصوته العميق النفاذ :

- « هذا لا يدل على شىء .. أنتم لم تجدوا إصبع قدم الرجل ولا أنفه بعد .. »

قال (تختخ) فى حماسة :

- « لا أحد يدفن روبًا أو منامة ملوثين بالدم فى حديقته بدون سبب وجيه ..

ـ « أنا معك .. لكن القاعدة هى أن نجد الجثة .. لسوف أستصدر أمرًا من النيابة بتفتيش البيت ونبش الحديقة .. لكنى أعرف جيدًا أنه لا مشكلة هناك .. لن نجد شيئًا ، ولن نوجه اتهامًا للزوجة .. »

ـ « ولماذا ؟ »

أشعل المفتش لفافة تبغ ، وقال فى خطورة :

ـ « الرجل اختطف .. نحن الآن واثقون من هذا .. كما أننا واثقون من أن مختطفيه قتلوه ! »

* * *

فى ذهول تساءل (تختخ) وهو يشعر بوهن بالغ :

ـ « قلت إنه ما من جهة أعلنت مسئوليتها .. »

ـ « حقًا كنا نحسب هذا .. لكن الزوجة كانت قد تلقت تهديدًا بقتل زوجها لو أبلغت الشرطة .. بعد الاختفاء بيومين جاءتها المكالمة التقليدية التى تطالب بعشرين ألف جنيه ، توضع فى مكان معين من الحديقة اليابانية ، وإلا ... »

« أصابها الهلع لأنها لم تكن تملك مليمًا ، ولم تعرف ما تفعله ، ثم قررت أن تقترض المال من مصدر معين ، واتجهت فى حماقة لتضعه حيث طُلب منها فى الهاتف .. ولم تنتظر لتعرف مصير المال .. »

« طبعًا لم يعد زوجها ولم يظهر المال .. وفى النهاية اضطرت لإبلاغنا منذ يومين بما حدث ، وقد راقبنا جهاز الهاتف الخاص بها ، وبالفعل تلقت أمس مكالمة فشلنا فى تتبعها يقول صاحبها : لقد أبلغت الشرطة ، ويمكنك أن تشترى ما يلزم من القهوة السادة لزوم العزاء فى الفقيد .. ستجدين جثته بعد أيام حيث وضعت المال ! »

« كانت المكالمة سريعة وفى الغالب كان مصدرها هاتفًا عموميًا .. وكان صوت المتكلم خشنًا جديرًا برجال العصابات .. هكذا يمكن القول إن الموضوع منته ولا دخل للزوجة فيه .. »

« هذا هو السبب فى كونها تتعجل الرحيل .. إنها خائفة ولم يعد شىء يربطها بهذا البلد .. »

هتف (تختخ) فى خيبة أمل :

ـ « ولماذا لم تخبرني بهذا ؟ كان هذا سيوفر المغامرة الليلية الرهيبة ووابل المطر الذى تلقيته .. »

ـ « أولاً : لم أحسبك مجنونًا لتفعلها .. ثانيًا : نحن لانملك أى دليل على براءة الزوجة إلا هذه المكالمة ، ومن الممكن دائمًا أن تتفق مع أحدهم ليتصل بها فى منزلها ويؤدى سطور التمثيلية .. »

« إذن أنت لا تصدق .. »

ـ « .. ولا أكذب .. أنا متعادل .. والفيصل هو نبش الحديقة بحثًا عن جثة الزوج .. »

ـ « وهل هذا دليل على كون الزوجة قتلته ؟ »

ـ « غالبًا هو كذلك .. لاتنس أن المختطف وعد بأن تظهر الجثة فى الحديقة اليابانية لاحديقة الفقيد .. »

ـ « وهل تراقبون الحديقة اليابانية ؟ »

ابتسم المفتش فى ثقة وقال :

ـ « أشياء كهذه لاتفوت رجال المباحث .. هذا عملنا .. وإن كنت أتمنى معرفة الطريقة العبقرية التى سيدخلون بها جثة إلى هذا المكان .. »

ثم لف الكيس على محتوياته وقال :

- « سنقوم بتحليل الدم الموجود على هذه الثياب .. إننا لانملك قطرات من دم الفقيد ، لكننا على الأقل نعرف فصيلته من صورة البطاقة الضوئية .. لو لم تكن هذه القطرات من الفصيلة A يمكننا أن ننسى أمر هذه الثياب تمامًا .. »

وابتسم ودعا (تختخ) ألا يفقد حماسه .. إن الحل قد بدأ يدنو ...

★ ★ ★

(عبير) / (نوسة) تعود إلى دارها مرهقة جائعة ..

ما إن تدخل الدار حتى تجد جوًا من (النكد) المميز والذى لايخطئه المرء أبدًا .. وتسألها أمها فى عصبية وجفاف أدنى إلى القسوة :

- « أين كنت ؟ »

قالت وهى تنزع حذاءيها :

- « كنا نحقق فى لغز ما .. موضوع اختفاء الأستاذ (حسين أبو شادى) .. »

- « كنت مع (تختخ) و (عاطف) ؟ »

ـ « طبعًا يا أماه .. و (محب) أخى و (لوزة) كذلك .. ماذا ترمين إليه ؟ »

قالت الأم وهى تبدأ وضع الأطباق على مائدة الطعام :

ـ « اسمعى يا (نوسة) .. إن هناك أشياء لابد أن توضع فى نصابها ، ومن الخير أن أتكلم أنا وليس أباك .. لقد كبرت كثيرًا ، ومعنى أنك كبرت أن هناك نوعًا معينًا من القيود والمسئوليات ، التى يرغمنا المجتمع عليها .. وهذه القيود تتضمن نوعًا من ... لنقل التحديد بدلاً من المنع .. إن هناك حدًا للقاءاتك بهذين الولدين : (تختخ) و (عاطف) .. »

تحشرج صوتها شأن من بوغت باتهام لم يتوقعه ، وغمغمت :

ـ « لكننا نلتقى دائمًا معًا .. كلنا .. (لوزة) و (محب) أخى .. ودائمًا ما يكون اللقاء فى دار أحدنا وأمام والديه .. »

بعصبية وضعت الأم الطبق الذى تحمله على المائدة فى نوع من الاحتجاج الصاخب ، وقالت :

ـ « أنت كبرت يا حمقاء ! كيف أشرح لك ؟ لقد كبرت وعليك أن تطيعى كلامى حتى لا ... حتى لا .. »

ثم وجدت العبارة المناسبة ، فصاحت :

- « حتى لا أهشم ضلوعك ! »

دخلت (نوسة) / (عبير) إلى حجرتها وهى تشعر بارتباك بالغ .. الأمور تزداد تعقيدًا بحق .. المشكلة هى أنها تعرف أن أمها محقة تمامًا .. لو لم يكن (تختخ) يلعب لعبة (قيس بن الملوح) لأمكنها الجدال بحماس أكبر ، لكنها أول من يعرف أن الأمور لم تعد كما كانت ولن تعود ..

إن جدران السجن تضيق علينا أكثر كلما كبرنا .. وهى مستعدة دون شك للتخلى عن أنوثتها وانضمامها لعالم النساء مقابل احتفاظها بصداقة الخمسة .. لكن (تختخ) وربما (عاطف) لن يتخليا عن رجولتهما .. لا يمكنها عقد مؤتمر صلح تدعو فيه الآخرين إلى تجاهل ضرورات الفسيولوجيا وتغيرات النمو .. لقد صاروا رجالاً وصارت امرأة ، ولم يعد شىء كما كان ..

يومًا ما ستنتهى هذه الصداقة ، وسينضم الفتية

إلى معسكر الأعداء ، بينما تدخل هى إلى خدرها مع النساء الأخريات بانتظار العريس ..

تبًا ! ليس النمو بهذا الجمال كما تحسبه ..

وبعد الغداء أخلدت إلى نوم متقطع لم تصح منه إلا فى السابعة مساءً مع شعور بالذنب .. الأيام الأخيرة للإجازة تلفظ أنفاسها بسرعة هائلة ، ثم تجىء المدرسة من جديد .. لماذا تضيع كل هذا الوقت فى النوم بدلاً من عمل شىء مسل ؟

وفى الثامنة مساءً طارت قطعة حجر ملفوفة بالورق ، لتدخل من نافذة غرفتها ...



١١ـ أكبر منا ..

فتحت الورقة فوجدت الأبيات التالية من الشعر :

« تذكرت ليلى والسنين الخواليا

وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا

أحبّ من الأسماء ما وافق اسمها

أو شابهه أو كان منه مدانيا

فأنت التى إن شئت أشقيت عيشتى

وأنت التى إن شئت أنعمت باليا

خليلىّ إن ضنوا بليلى فقرّبا

لى النعش والأكفان واستغفرا ليا »

هذا الشعر يحوى اسم (ليلى) فمن الواضح أنه يخص (قيس بن الملوح) ، وهو عاشق لحوح آخر ممن لايهمدون لحظة أو يملون ما يعملون ..

تبًّا ! هو ذا (تختخ) يلعب لعبة المراهقة كاملة ، ومن العسير التخلص منه الآن .. إن الأبيات رقيقة بحق ، لكنه لم يكتبها .. والمشكلة هنا هى أنها لاتستطيع

أن تزعم أنها لم تقرأها .. لابد من مواجهة الأمور بصراحة وحكمة ..

وبشكل لايهدم أواصر الصداقة ، أو يفتت الفريق الخماسى ..

رباه ! لماذا أنا بالذات ؟ لماذا ؟ لم لايحب أية ممثلة حسناء كدأب المراهقين ويتركنى وشأنى ؟

★ ★ ★

لماذا يصر هؤلاء الشعراء القدامى على مخاطبة صديقين فقط ؟ (متى أضع العمامة تعرفانى) .. (قفا نبك من ..) .. (خليلىّ قربا ..) .. إلخ ..

لابد أن تسأل عن هذا الموضوع فيما بعد ..

★ ★ ★

وعاد (تختخ) إلى داره بعد ما أتم مهمته العاطفية ، بالمقلاع الصغير الذى كان يقذف به الجيران بالطوب فى طفولته .. طريقة مراهقة لكن من قال إنه ليس مراهقًا ؟ ثانيًا هو لايستطيع الانفراد بـ (نوسة) و (محب) ملتصق بها كالذبابة ..

وكان بانتظاره هاتف من المفتش (سامى) يخبره بأن :

- « الدم من نفس فصيلة الأستاذ (حسين أبو شادى) .. هذا لايدل على أنه هو ، لكن الأمر جدير بالاهتمام .. »

- « عظيم .. هل ستقومون بنبش الحديقة ؟ »

- « فى الصباح على الأرجح .. »

وودع (تختخ) المفتش وتمنى له ليلة طيبة .. ثم استلقى فى فراشه وراح يعيد نسج خيوط هذه القصة بحثًا عن شىء فاته ...

منامة ملوثة بالدم فى الحديقة .. لو لم تكن هذه فى القصة لكان كل شىء على ما يرام متسقًا مع نظرية الاختطاف ..

كل هذا غريب .. غريييييب ..

وغاب فى نعاس عميق أيقظه منه صوت الهاتف بعد ساعة تقريبًا ..

رفع السماعة ليسمع صوت (نوسة) الهادئ ، فتواثب قلبه فى ضلوعه ..

ـ « مساء الخير .. هل نمت ؟ »

ـ « لـ .. لـ .. لا .. »

ـ « لقد قرأت رسالتك .. »

ـ « وكيف عرفت أنها رسالتى ؟ »

لم تقع فى الفخ ، ولـم تعترف بأنهـا قرأت رسـالة الحبر السرى ، بل قالت فى هدوء :

ـ « أنت مـن طـلب منى فتح النـافذة فـى الثـامنـة مساءً .. هل تذكر هذا ؟ »

ـ « أتمنى ألا تكون قطعة الطوب قد هشمت شيئًا ثمينًا .. »

ـ « نعم .. قد هشمت سلامى النفسى، وإننى لأسألك سؤالاً واحدًا : طلباتك ؟ »

ارتبـك وتحشـرج صوتـه .. واضـح أن المعركـة خاسرة .. لهجتها تقول كل شىء .. قـال بعد مـا ابتلع ريقه :

ـ « هل بعد ذلك بعد .. أو قبل ذلك قبل ؟ »

ـ « هل أنا مطالبة بشىء ما ؟ »

ـ « مطالبة بأن تحبينى ، فإن لم تستطيعى دعينى أحبك .. »

قالت فى لهجة حاولت أن تنزع منها أية غلظة :

ـ « يمكنك أن تحبنى إذا أردت ، مادام هذا لن ، يجعل حياتى جحيمًا .. ومادمت لن تطالبنى بشىء .. »

ـ « هل ستكونين لى أبدًا ، ويومًا ما تقبلين الزواج منى ؟ »

قالت فى كياسة :

ـ « (تختخ) .. يوم نبدأ الكلام عن الزواج ؛ سيكون هذا بعد عشرة أعوام من الآن على الأقل .. من يدرى ؟ ربما تكون القيامة قد قامت أو الحرب النووية قد نشبت ، وهذا يجعل كلامنا غير ذى موضوع .. »

كانت أكبر منه سنًا (بما أنها عبير) وكانت تعرف الحقيقة بجلاء :

ـ « لسوف تلقى من هن أجمل منى وأنكى منى .. ستعرف طبيبات .. مبرمجات للعقول الإلكترونية .. رسامات .. دبلوماسيات تحت التمرين .. ستكون فتاتك

واحدة منهن ، ولسوف تندهش كيف أنك أحببت مثلى يومًا ما .. صدقنى .. هناك (نوسات) كثيرات فى هذا العالم . »

- « لكن لا توجد (أنت) أخرى .. »

- « بل لا توجد (أنا) أخرى فى الوقت الحالى ، وهذا ما يجعل وجودى نوعًا من العرج فى حارة المكسحين .. أنت تمر بحالة من (إذا لم تجد ما تحب فحب ما تجد) ، أو (إذا لم أكن قرب الفتاة التى أحبها سأحب الفتاة التى أنا بقربها) .. والآن وداعًا .. اشرب كوبًا من اللبن الدافئ ونم ، وحاول أن تفكر فى لغز الزوج المختفى قبل أن تهزمك الأحلام .. »

ووضعت السماعة قبل أن يرد ...

* * *

عند منتصف اليوم التالى اجتمعوا فى حديقة (عاطف) ، وحكى لهم (تختخ) كل ما حدث أمس (طبعًا لم يحك موضوع الرسالة) ، ولاحظت (نوسة) أنه لم يعد يوجه لها الكلام .. من الواضح أنه أعقل مما حسبت ..

وأنهى (تختخ) كلامه قائلاً :

- « .. وقد اتصل بى المفتش (سامى) من نصف ساعة ليخبرنى أن نبش الحديقة لم يسفر عن شىء .. سوى نوبة بكاء هستيرى أصابت الزوجة التى فوجئت بكلّ هذا .. لقد أتلفت الحديقة تمامًا ، لكن هذا كان ضروريًا .. والآن ما تعليقاتكم ؟ (لوزة) ؟ »

قالت (لوزة) وقد احمر وجهها حماسة :

- « هذا يجعل قصةَ الاختطاف هى الأرجح ، وأعتقد أن دورنا انتهى وستظهر الجثةّ حتمًا ، لكننا لن نجد اللص .. »

قال (عاطف) فى جديةّ :

- « بالعكس .. لم يستجد شىء يلغى احتمال قتل الزوجة له .. يمكنها دومًا أن تقتله فى مكان غير الفيلا .. »

وقال (محب) :

- « ... ولربما تبقت بعض آثار لعملية القتل ، فكان عليها أن تداريها فى الحديقة .. »

قال (تختخ) فى قنوط :

- « على كل حال لم تعد هناك مشكلة .. سينتهى كل شىء غدًا .. إجازتنا واللغز .. الزوجة ستسافر للخارج غدًا .. يقول المفتش (سامى) إنه لا اتهامات ضدها ، ومن ثم من حقها السفر متى شاءت .. لا أعرف وجهتها لكنى لن أندهش لو كانت مسافرة إلى بلد لا تربطنا به معاهدة تسليم المتهمين ، أو بلد لا ينتمى إلى (الإنتربول) .. »

صاحت (نوسة) فى هلع :

- « لكننا نعرف الحل دومًا فى اللحظة الأخيرة قبل انتهاء الإجازة .. هذه هى التقاليد .. لا يمكن مخالفتها .. »

- « للأسف كان هذا اللغز أكبر منا ، وكان معقدًا فى كل شىء من اللحظة الأولى .. لقد كنت محقة فى البداية حين قلت : أخشى أن الأمر هذه المرة أكبر منا .. »

وساد الصمت ، ثم قال (محب) بعد تفكير :

- « هل تعتقد أن المتسول الذى قابلته ليلاً يمت بصلة لرجال الشرطة ؟ لو لم يمتّ لهم فمن المؤكد

أن له علاقة بالخطف ، وهذا يضع البواب النوبى فى قائمة الاشتباه .. »

حك (تختخ) رأسه وقال :

- « هذا حق .. لقد فاتنى هذا فعلاً .. »

ثم حك رأسه فى عنف أكثر ، وأردف :

- « هل تريدون رأيى ؟ هذه القصة لن تحل إلا إذا دخلت البيت نفسه اليوم ! »

بدا الجزع على وجوه الجميع ، وكانت (نوسة) / (عبير) أول من تكلم :

- « لا تفعل يا (تختخ) .. هذه مخاطرة لا يبررها شئ ، وأنت تعرف أن رجال الشرطة فتشوا المكان جيدًا »

- « نعم .. لكنهم رأوا ما يمكن أن يحدث فى وجودهم .. ترى ماذا يمكن أن يحدث فى غيابهم ؟ هذا هو ما أنوى أن أراه ! »

- « لا نفهم .. »

- « أحب أن أرى ما تفعله الزوجة الآن وما تعده

لتضعه فى حقائبها .. مـا هـى الأوراق التـى تنـوى إعدامها أو حرقها ؟ ما المكالمات التى ستجريها ؟ ماذا يفعل البواب النوبى الآن ؟ هل البـواب النوبـى هـو الأستاذ (حسين أبو شادى) نفسه ؟ »

كانت دهشتهم بالغة حتى إنهم عادوا لطريقتهم فـى الكلام بأسلوب المسرح .. وكانت (عبـير) / (نوسـة) أول من استعمله برغم أنها تمقت هذا الأسلوب .

نوسـة : هل جننت ؟ البـواب النـوبى هو (حسين أبو شادى) ؟ كيف ، ولماذا ؟

تختخ : من ناحية (كيف) هذا سهل .. أى شـخص يدهن وجهه بمسحوق الفللين المحـروق يغدو نوبيًا ، واللهجة يسهل افتعالها ما دام لـن يلقـى نوبيًا آخر .. إن (علـى الكسار) قد علّم الجميع كيف يتظـاهرون بأنهم نوبيون ..

أما بخصوص (لماذا) فهناك عـدة إغراءات منهـا الهرب من ديون أو مسئوليات تلاحقه ، والظفر بمبلـغ التأمين على حياته هو ..

لوزة : والمكالمة التى هددت الزوجة بقتل زوجها ؟

تختخ : نحن لم نسمع شيئًا منها ، والمكالمة الوحيدة التى سمعها المفتش (سامى) قد تكون ملفقة ، وهذا ليس عسيرًا .. ربما كان الزوج نفسه هو المتكلم .

محب : لكنك قلت إنه لابد من ظهور الجثة .. (هابيوس كوربوس) ..

تختخ : ربما كان بوسع الزوج التحايل على القانون أو رفع قضية يكسبها على الشركة ، ويرغمها على دفع مبلغ التأمين للزوجة ، وهكذا يكون قد نال ثمن وفاته وهو حى ، وسرعان ما تهاجر الزوجة ويلحق هو بها بعد قليل ..

نوسة : هذا تفكير بالغ التعقيد بالنسبة للرجل ..

تختخ : لكنه وارد ، ولا أجد وسيلة للتأكد منه إلا بدخول الفيلا .. هذه الليلة !

* * *

١٢ - مغامرة ليلية ..
(لقد صار هذا العنوان مملاً)

وفى المساء دخل (تختخ) غرفته وأغلقها عليه ، ثم جلس أمام المرآة التى ثبت المصابيح على إطارها الخارجى كغرف الماكياج فى المسارح ، وبدأ يتخذ معالم تنكره الجديد ..

* * *

أى شخص يدهن وجهه بمسحوق الفللين يغدو نوبيًا ، واللهجة يسهل افتعالها ما دام لن يلقى نوبيًا آخر .. إن (على الكسار) قد علَّم الجميع كيف يتظاهرون بأنهم نوبيون ..

* * *

لقد خطرت له الفكرة وهو يتكلم مع الأصدقاء ، ومن حينها قرر أن يكون هو البواب النوبى .. لم لا ؟ هذا قد يتيح له الكلام مع الزوجة .. صحيح أن لسانها لن ينزلق لأنه من المستحيل أن يكون تنكره بارعًا إلى هذا الحد ، لكنه - على أضعف احتمال - يتيح له أن يدخل

الفيلاّ دون أن يثير الشكوك .. وثبت العمامة على رأسه وتأمل وجهه فى المرآة .. لا بأس على الإطلاق ، ثم تلفظ بعبارة بلهجة نوبية :

ـ « المندو كورو ماتوا سنبلة .. أه سورى إهوانى ! »(*)

كان هذا جيدًا ورضى عن نفسه كثيرًا ، وكان فى أشد الحاجة لهذا لأن موقف (نوسة) منه هز ثقته الداخلية .. كان يحبها بحق ، أو هكذا حسب وما ظن أنها سترفضه .. لم يعترف لنفسه بأنها رفضته لأنه أصغر من اللازم أو أبدن من اللازم مثلاً .. قال لنفسه : إنها رفضته لأنه لم يأت بجديد فى هذا اللغز ، ولم يبهرها بعقله كما اعتادت ..

الليلة سيكون هناك جديد ، ولسوف تبحث عنه فى الصباح مفتونة مبهورة ..

فرغ من التنكر فغادر من فوق الشجرة إياها كعادته ، وركب دراجته قاصدًا فيلاّ الأستاذ المختفى ..

* * *

(*) يبدو أن اقتباساتنا من الأستاذ (محمود السعدنى) كثيرة اليوم .. العبارة معناها بالنوبية (لقد مات أهل الشمال دون مقابل .. كم أن هذا مؤسف يا إخوانى !)

تسلق السور من النقطة التى اعتادها ، ثم مشى فى الممر ما بين الأشجار وهو يتلفت حوله خائفًا .. كانت الأنوار مطفأة كلها كما كانت أمس ، وواضح هنا أن الزوجة لم تعد تهتم بأن تبدو الفيلاً بهيجة .. كما أن آثار الحفر والتنقيب أحالت المكان إلى إحدى غابات الأمازون ، ولم تعد له علاقة بالحديقة الأنيقة المعهودة ..

أخيرًا وصل إلى البيت ، فبدأ يدور من حوله . ثمة نافذة مواربة يمكن الدخول منها مع ارتفاعها الخفيض .. سكان هذا البيت يعانون من انطباع زائف بالأمان ..

يتسلق الحافة ، ثم يلقى بجسده البدين إلى الداخل .. كان فى قاعة مظلمة تفوح منها رائحة رطوبة قوية مما يشى ببدروم أو شىء من هذا القبيل .. أطلق شعاعًا رفيعًا فرأى على ضوئه أنه لم يكن مخطئًا .. هذه غرفة كرار بها مخلفاتٌ عديدة ، وحقائب قديمة فارغة ، مع صفين من قوالب القرميد ، وقصعة أسمنت .. وبعض أدوات البناء ولوازم السباكة ..



تسلق السور من النقطة التى اعتادها ، ثم مشى فى الممر ما بين الأشجار وهو يتلفت حوله خائفًا ..

فئران ! يا للهول ! إنه يهابها برغم بدانته وضخامته .. لم لا ؟ الفيل يهاب الفئران بشدة لأنها قادرة على قرض أقدامه .. و (تختخ) كان فيلاً آدميًا يخاف كل ما تخافه الأفيال ..

ضرب بقدمه على الأرض ليثير فزع تلك القوارض المريعة ، ثم واصل رحلته الاستكشافية ..

الآن هو فى الخارج .. يوجد سلم صاعد إلى أعلى يقود إلى الطابق الأول .. يصعده فى حذر وهو يتوقع مفاجأة قاسية فى أية لحظة .. المفاجآت هنا من نوع : قف مكانك !! من أنت ؟

الآن يقف وراء الباب .. يفتحه وقلبه يتواثب .. يرى البواب النوبى الحقيقى يتقدم فى ثقة وسرعة صاعدًا الدرج الآخر الذى يقود للطابق الثانى ، وكان يحمل حقيبة كبيرة ..

هذا غريب ! كيف يتحرك البواب بهذه الحرية فى بيت سيدته ؟ الأمر واضح إذن .. هذا هو الزوج متنكرًا كما خمن (تختخ) تمامًا ..

خرج (تختخ) بخفة من موضعه .. اتجه إلى الدرج ،

وتحركت فيه غريزة المخاطرة الشهيرة التى تتحرك لدى كل أبطال أفلام الرعب ، وتجعل المشاهد يشد شعره .. لماذا تدخل هذه الحمقاء القبْو الملىء بتوابيت مصاصى الدماء وحدها ؟ ما الذى تحاول إثباته ؟

ما الذى تحاول إثباته يا (تختخ) أيها المتهور ؟ لماذا تصعد هنا فوق نفس الدرجات التى كان البواب يمشى عليها منذ ثوان ؟ لن يلبث أن يقابلك هنا ، وعندها لن تستطيع التظاهر بأنك انعكاس صورته فى المرآة ..

كان (تختخ) يمشى فى حذر .. وجد غرفة مفتوحة فى نهاية الممر والضوء يتسرب منها ليفترش الأرضية .. كل شىء يدل على أن البواب هنا .. دنا أكثر واختلس نظرة من حيث لا يراه أحد لأنه فى الظلام ..

كانت الزوجة هناك أمام المرآة تصلح زينتها على ما يبدو ، والبواب يقف جوارها يتكلم .. لم يسمع شيئًا من الحديث ، لكن الدهشة أصابته .. هذه هى غرفة مدلم

(سلوى) إذن .. فكيف تسمح للبوّاب بدخولها ؟ من البداية كيف تسمح له بدخول الفيلا ؟

لو كان هو الزوج متنكرًا ، فإن الأمر يستحق الدنو أكثر لسماع ما يقال ، ولكن كيف ؟

كانت هناك غرفة ملاصقة لهذه ، بابها موارب ، وهى أقرب له من الناحية الأخرى ، وقدر (تختخ) أنها صالحة للتنصت على ما يقال ..

هكذا تسلل إلى الباب ففتحه ، ودخل إلى الغرفة المظلمة .. أطلق شعاع الكشاف مرة ليعرف أين هو ، فوجد أنها غرفة جلوس ، لكن أكثر أثاثها قد تمت تغطيته بالأغطية ، شأن من يتأهب لسفر طويل ، كما أن الأرض كانت عارية ، وقد تم طىّ السجاد .. بالتأكيد حول لفافات من الفلفل كما هى العادة لطرد العثة .. وحتى النجفة فى السقف تم لفها لمنع الغبار من التسلل لها ..

كان هناك باب موصد ، واضح بالطبع أنه يفصل الغرفة عن غرفة النوم ، وهكذا دنا (تختخ) بحذر من الباب ليلصق أذنـ ...

بومب !

توقف قلبه ، وسقط على الأرض مع الوسادة التى سقطت .. كان لسقطتها صوت مكتوم رهيب ، وتجمد (تختخ) بضع دقائق وهو يدعو اللّه ألا يحدث ما يجب أن يحدث ..

بالفعل لم يحدث !

ومن جديد - وقد عاد قلبه ينبض - دنا من الباب وألصق أذنه .. صار بوسعه أن يميز المحادثة .. لابد أنها كانت تدور على بعد مترين لا أكثر ..

وكان أول ما تكون لديه من انطباع هو أن البواب النوبى بالفعل بواب نوبى .. لهجته واضحة تمامًا ، ولو كان هو الزوج لما احتاج إلى افتعال اللهجة بينما لا أحد يراقبه ..

هذا البواب ليس هو الزوج إذن ..

أما الانطباع الثانى فهو أن ...

يا للغرابة ! مستحيل أن يكون هذا ! أية حماقة هى وأى غباء !

اضطر (تختخ) المذهول إلى أن ينحنى ليختلس

نظرة من ثقب المفتاح .. لم يكن هذا مما يتماشى مع أخلاقه ، ولم يكن من هواة التجسس أو التلصص ، لكن القتلة أيضًا لا يناسبون أخلاقه .. كل شيء جائز فى الحرب ..

كان بحاجة ماسة إلى أن يرى الحقيقة ، وهكذا انحنى أكثر وركز بصره ، لكنه لم ير سوى ظل أبيض وراء الباب ..

ما معنى هذا ؟ هذا جلباب النوبى طبعًا ..

يراه بهذا القرب لأن النوبى كان يدنو من الباب فى هذه اللحظة ، وفى اللحظة التالية لهذه انفتح الباب ليقذف بـ (تختخ) إلى الوراء ، ورآه (تختخ) يقف أمامه وعيناه البضاوان تتسعان فى وجهه الأبنوسى الأسود ذهولاً ..

لابد أنه حسب هناك خطأ ما .. من العسير أن يضبط المرء نفسه يتنصت من وراء باب ، ثم تغلب على ذهوله اللحظى وعاد للواقع ، وصاح :

ـ « من أنت ؟ من أنت ؟ »

* * *

١٣ - أين هـو..

للمرة العاشرة مرّ (محب) بدراجته أمام نافذة (تختخ) ليجد النور منطفئًا، ولا توجد علامة واحدة على وجود الفتى السمين..

بالطبع ما كان ليجرؤ على السؤال عنه مباشرة أو هاتفيًا، لأن والدى (تختخ) يحسبان ابنهما فى غرفته الآن..

عاد لداره حيث كانت (نوسة) تنتظر فى قلق، وقال لها :

- « الثانية بعد منتصف الليل .. لست مستريحًا لهذا التأخير .. »

- « والحل ؟ »

- « لا أدرى إن كنا قد بلغنا الخط الأحمر الذى نبلغ عنده المفتش (سامى) أم لا .. لكنى أرى أن الإسراع واجب .. »

ـ « أخشى أن نفسد شيئًا .. لطالما تأخر (تختخ) وهذه ليست أول مرة .. »

ـ « لا أدرى .. هذه هى أول مرة لى بالنسبة لهذا القلق .. »

والحقيقة هى أنها كانت أكثر قلقًا، وإن حرصت على ألا تظهر ما ينم عن هذا .. ليس فقط كى يهدأ (محب)، ولكن أيضًا كى لا تعترف لنفسها بأنها تميل إلى الفتى ..

شىء طبيعى .. كذا قالت لنفسها .. أنا أقلق على (عاطف) وعلى (لوزة) كذلك .. لا ينبغى أن ينبع كل قلق من حب كالذى يتكلم عنه (تختخ) .. ربما ينبع من ألفة أو صداقة أو مودة .. نحن أصدقاء وسنظل كذلك ..

جلبت دفتر أرقام الهاتف، وبحثت عن رقم الأستاذ (حسين أبو شادى)، ثم أدارت الأرقام على القرص، لاشىء .. صوت الرنين يتردد ولا أحد يرد .. هذا غريب ..

ـ « إما أنها نامت أو تركت الدار .. »

- « من يدرى ؟ لربما قبضوا على (تختخ) وشعروا بضرورة الفرار .. »

هنا - وفى لحظة لم تتوقعها - ارتفعت سماعة الهاتف ، وقال الطرف الآخر بصوت أنثوى مرهق :

- « آلو ؟ »

توترت يد (نوسة) على السماعة ، وللحظة لم تدر ما تقول ، ثم هتفت بصوت مبحوح :

- « أنا (نوسة) يا طانط .. هل أيقظتك من نومك ؟ »

ضحكت المرأة قليلاً ضحكة منهكة ، ثم قالت :

- « ماذا تتوقعين أننى كنت أفعل فى الثانية بعد منتصف الليل يا بنيتى ؟ بالتأكيد لم أكن أكتب سيمفونيتى السابعة .. »

- « إذن أنا آسفة .. فى الحقيقة .. أردت أن أطمئن على أنك لم تسافرى .. »

- « سأسافر غدًا عند الظهر إن شاء الله .. هل تريدين شيئًا آخر ؟ »

ـ « لا .. وآسفة على الإزعاج .. »

ـ « تحياتى لوالدتك إذن .. »

ووضعت السماعة بشىء من الصرامة والضيق ..

قال (محب) فى توتر :

ـ « ما رأيك ؟ هل تبدو صادقة ؟ »

مطت شفتيها وغمغمت :

ـ « لا أدرى .. كلما تقدمت فى العمر كلما أدركت أنه من المستحيل تمييز الكذب .. ربما لهذا اخترعوا جهاز كشف الكذب .. ربما هى صادقة و (تختخ) فى مكان ما من الفيلا يمارس مهام تجسسه .. »

ـ « المفتش ولا أحد سواه !! »

قالها (محب) وهو يرفع سماعة الهاتف .. لكن يد (نوسة) أوقفته ، وهمست :

ـ « لا تفعل .. سننتظر حتى الصباح .. قد يغدو موقفنا غاية فى الحرج لو كان (تختخ) بخير ، ولن تتنازل المرأة عن حقها القانونى ، لو عرفت من المفتش أن الفتى تسلل لدارها .. إنها المرة الثالثة تقريبًا ما لم تخنى الذاكرة .. »

ابتلع ريقه ، ووضع السماعة ، وغمغم في شرود وقد أدرك أن كلامها صحيح للأسف :

- « حسن .. دعينا نحاول النوم .. »

- « نحاول نعم .. لكن من يستطيع حقًا ؟ »

* * *

وفى الصباح الباكر بدا واضحًا أن (تختخ) لن يعود .. لقد اتصلوا بداره فقالت الأم المذعورة إنه ليس فى غرفته .. لاتدرى إن كان خرج مبكرًا أم لم يمض ليلته بها من الأصل ...

هكذا اتجه (محب) و (عاطف) إلى الفيلا ودارا بدراجتيهما حولها دورتين فلم يريا أثرًا لشىء .. كان البواب النوبى جالسًا أمام المدخل يدخن المعسل ، ولم يبد أنه لاحظ وجودهما ..

اتجها إلى أقرب هاتف وطلبا المفتش (سامى) .. أخيرًا دوى صوت الرجل المفعم بالثقة والقوة ، فلما سمعاه شعرا بطمأنينة كأن (تختخ) عاد بالفعل .. وحكى له (محب) القصة كلها فى كلمات سريعة ، فقال فى غيظ :

ـ « كالعادة يتصرف (تختخ) بحماقة ، ويضعنا في مواقف سخيفة .. سأجرد قوة تقوم بتفتيش الفيلا الآن .. »

ومن مكانهما راح الصديقان ينتظران ، حتى رأيا عربة المفتش (سامى) تصل إلى الفيلا والبواب النوبى يلقى القادمين مندهشًا ، كان يلوح بذراعيه بحركات توحى بالنفى ، ثم جاءت عربة كبيرة بها قوة من رجال الشرطة ، وسرعان ما أفرغت أحشاءها ليغيب عدد من الجنود داخل الفيلا ..

مرت نصف ساعة ، ثم خرج الجميع .. واضح طبعًا أن المفتش لم يجد شيئًا .. كان متضايقًا كما هو واضح .. حتى من وراء عويناته السوداء بدا متعكر المزاج ، وجال بنظره حوله فأدركا أنه يبحث عنهما ، كما لو كان متأكدًا من أنهما دانيان ..

مشى كل منهما جوار دراجته ودنيا منه متوترين ، فقال حين رآهما :

ـ « لاشىء .. ومن الواضح أننى كنت مخطئًا حين عهدت لمجموعة أطفال بهذه المهمة .. لقد اختفى

(تختخ) ولم يره أحد أمس ، وهذه مشكلة أخرى تضاف لمشاكلى التى لاتنتهى .. لقد اعتذرنا لمدام (سلوى) ، لكنها ما زالت غاضبة وتشكر الظروف التى ستجعلها ترحل اليوم بالذات .. »

ودون كلمة أخرى ركب سيارته ، وانطلقت السرينة ، بينما العربتان تبتعدان تاركتين الصديقين فى حيرة لا توصف ..



١٤ ـ الحـل يتضح ..

في دار (محب) جلسوا مهمومين يفكرون في هذه الكارثة ..

رجال المفتش (سامي) يمشطون المعادي بحثًا عن الفتى البدين ودراجته دون جدوى .. لقد صار عدد من يختفون دون أثر أكثر من اللازم في المعادي هذه الأيام ..

قالت (نوسة) وهي تنظر إلى ساعتها :

ـ « منتصف النهار دان .. بعد قليل ترحل المرأة مع سرها إلى الأبد .. »

ـ « يا للكارثة ! »

راحت تفكر شاردة في نواحي هذا اللغز .. نظرية الخطف .. نظرية الزوجة القاتلة .. نظرية الزوج المتنكر .. كل هذا .. هنا وجدت من يدخل الغرفة فيحييهم ويجلس دون استئذان .. عرفته من صوت قلمه قبل أن تعرفه من وجهه :

- « (المرشد) ؟ أية ريح شؤم جاءت بك ؟ »

قال وهو يداعب زنبرك القلم :

- « هذا ترحيب مبالغ فيه يا (أليس) .. جئت لأصطحبك لأن موعد الرحيل قد جاء ! »

صاحت فى عصبية :

- « كف عن هذا الاستخفاف بى ! القصة لم تنته بعد ، ولا قيمة لها لو رحلت الآن .. لاتعاملنى بمنطق مخرجى التلفزيون الذين يقطعون البرنامج قبل نهايته بربع ساعة ليقدموا إعلانًا ! »

- « ليكن .. أنت تقليدية تحبين النهايات التقليدية ، وتمقتين النهايات المفتوحة .. لكن هل لم تصلى للحل بعد ؟ أراك تنسين الكثير مما قرأته .. »

- « ماذا تعنى ؟ »

قالتها فى شك وتوتر ، فقال :

- « تذكرى ما قرأته .. لقد كنا مع (مارك توين) فى الكتيب السابق ، وهذا يذكرنى بموقف (هاكلبرى فان) مع المرأة العجوز التى كشفت حقيقته .. هل تذكرينه ؟ »

قدحت زناد ذهنها بعض الوقت ثم هتفت :

- « يا إلهى .. هل حقًا تعتقد هذا ؟ »

- « أنا متأكد .. »

واسترخى فى مقعده ، وراح يقضم الجلد المحيط بأظفاره فى استرخاء ، وقال لها :

- « حاولى استعمال هذا الخيط .. سأغفو قليلاً حتى ينتهى اللغز .. »

سألها (محب) وهو يرمق الرجل فى شك :

- « من هذا ؟ إننى أعرفه .. هذا هو (المرشد) .. أليس كذلك ؟ »

قالت وهى ترمقه وقد غاب فى نعاس عميق :

- « بلى .. إنه يؤدى دور (بلاسير) السينما بالنسبة لهذا العالم .. هو من يقودنى إلى مقعدى فى الظلام فى كل مرة .. والآن دعنا منه وتعال نسأل أبى عن الأستاذ (حسين أبو شادى) .. »

كان أبوها جالسًا فى غرفة الجلوس يطالع الجريدة ، فاليوم إجازة .. دنت منه وطوقت عنقه بذراعها الأيمن

فابتسم مجاملاً كما يفعل الرجال حين تكون الجريدة أحب إليهم فى لحظة بعينها ..

سألته فى رفق :

- « أبى .. أنت كنت صديقًا للأستاذ (حسين أبو شادى) كما أعلم .. »

- « بالتأكيد .. وأعتقد أنه مرحوم الآن .. »

- « هل تذكر حفل التخرج من المدرسة السعيدية ؟ لقد رأيناك فى الصور فى أثناء قيامهم بخنقك ! »

احمر وجهه حياء وغيظًا وغمغم :

- « المفترض ألا يسمح لكم برؤية صور كهذه .. ما علينا .. نعم أذكر الحفل طبعًا .. أعتقد أن (حسين أبو شادى) قد أخفى عنكم بعض الصور هو الآخر ! لقد ظللنا نغيظه أعوامًا طويلة .. »

تذكرت (عبير) الصفحات الخالية من الألبوم ، وقالت :

- « هذا هو ما أسأل عنه .. ماذا حدث فى هذا الحفل بالضبط ؟ »

ابتسم الأب فى مكر لطيف وقال :

ـ « لاشىء .. لقد تنكر فى شكل امرأة على سبيل الدعابة .. وكان تنكره متقنًا بطريقة غير عادية حتى إن بعضنا أعجب بها ، ثم اتضح لنا أن صديقنا كان من عباقرة التنكر .. بل وكان يغير صوته بالكامل .. طبعًا لم يكن نيوع هذه الدعابة شيئًا مستحبًا وقتها ، وقد حرص على أن يشترى كل ما التقط من صور تظهره فى ثياب النساء .. لكنها دعابة لم ينسها أحد .. »

تبادلت (عبير) و (محب) النظرات ثم نهضت وعادت إلى الأصدقاء ، وقالت متقطعة الأنفاس من الانفعال :

ـ « ماكنت لأشك فى هذا لو لم يلفت (المرشد) الأحمق نظرى إلى قصة (هاكليرى فان) لـ (مارك توين) .. لقد لاحظت أشياء كثيرة لكنها لم تثر شكوكى .. »

سألها (عاطف) فى غباء :

ـ « ماذا تعنين ؟ »

ـ « فى البدء لاحظت أن المرأة وضعت الصور فى حجرها .. الرجال حين يفعلون هذا يباعدون بين أرجلهم ليحولوا حجر الجلباب إلى سلة حاوية .. أما النساء

فيضممن أرجلهن .. طبيعى أن يتصرف الرجل لابس الفستان كما يتصرف لابس الجلباب .. بعد هذا لاحظت طريقتها فى إشعال الثقاب موجهة الشعلة نحوها عند الاحتكاك ، كما يفعل أى مدخن نكر محترف ، بينما تشعل النساء الأعواد مبعدات الشعلة عنهن .. لقد اكتشفت العجوز فى رواية (مارك توين) تنكر (هاكليرى فان) فى صورة فتاة بأخطاء صغيرة كهذه .. كل هذا هين ..

« لكن أبى يتكلم عن موهبة الأستاذ (حسين أبو شادى) فى التنكر والتصرف كالنساء .. ألا يضع هذا بعض علامات استفهام هنا ؟

« بعد هذا نجد أن السيدة (سلوى) اعتزلت المجتمع تمامًا وكانت من نجماته .. ترفض لقاء كل صديقاتها ، ولا تسمح لأحد بلقائها إلا من لا يعرفها أو لا ينكرها .. إنها مقنعة كامرأة لكنها غير مقنعة كمدام (سلوى) ذاتها .. وعند أقرب فرصة تبادر بالفرار خارج البلاد حيث لن يجدها أحد ..

« ما أعنيه هو أن الأستاذ (حسين أبو شادى) لم يمت ولم يختف .. من ماتت هى زوجته مدام (سلوى) !! »

* * *

١٥ ـ الخاتمـــة ..

قال (عاطف) فى عدائية :

ـ « كل هذه فروض سخيفة .. وماذا عن مكالمـات التهديد ؟ »

ـ « نحن لانعرف سوى مكالمة واحدة ، وفى الغالب كان صاحبها البواب .. لاشك فى أنه يعرف كل شىء وتعاون مع الأستاذ (حسين) بالكامل .. »

« والثياب فى الحديقة ؟ »

ـ « خطة لإقناعنا أن (حسين أبو شادى) قد مات . أعتقد أن الدم دمه بالفعل .. ماكان ليجد عسرًا فى جرح يده أو ساقه وتلويث الثياب به .. كان يأمل فى أن يفكر أحدهم فى اختلاف شكل النباتـات وينبش الحديقة .. عندها كانت فكرة موت (حسين أبو شادى) ستتأكد لكن الاتهام لن يكفى لاعتقال الزوجة... أعتقد أنه رأى عملية الحفر التى قمت بها مع (تختـخ) من بدايتها ، وآثر الصمت .. »

- « والدافع ؟ »

- « ياله من سؤال ! مبلغ التأمين طبعًا .. سيحصل (حسين أبو شادى) على قيمة التأمين على حياته كاملة ، ويتخلص من زوجته التى لابد أن هناك أسبابًا لكراهيتها .. بعدها يسافر إلى الخارج ويبدأ حياة جديدة ، بينما يقوم محاميه هنا ببيع شركته والفيلاّ .. إنها الجريمة الكاملة التى ربما كانت لتنجح لو أجاد إشعال الثقاب للخارج ! »

- « والمتسول الذى رآه (تختخ) يدخل الفيلا ؟ »

- « رجل شرطة سرية على الأرجح انعقدت بينه وبين البواب صداقة .. نحن فى الشتاء ، وكوب من الشاى قد يكون مستحبًّا . فى أثناء ساعات الخدمة الطويلة »

ضاقت عينا (محب) وسألها :

- « يبقى موضوع (هابيوس كوربوس) الشهير .. أين جثة الزوجة ؟ »

ابتلعت ريقها وقالت :

- « هذا أعقد سؤال أسمعه اليوم .. بالطبع جثة الزوجة فى ذات المكان الذى يوجد به (تختخ) الآن ! »

* * *

اتصلوا بالمفتش (سامى) الذى لم يكن على استعداد لسماع أى كلام عن (تختخ)، ولا عن الأستاذ المفقود، ولا أى شىء فى العالم .. وقالت له (عبير) متوسلة :

- « أرجوك يا سيادة المفتش .. قد يكون (تختخ) فى خطر الآن .. ربما هو دان من الموت .. إن مجريات الأمور تغريهم بالانتهاء منه سريعًا .. أعطنا فرصة واحدة أخرى .. »

قال المفتش فى ضيق :

- « سأعطيك الفرصة التى تريدين، وإن كنت لا أدرى ما تتوقعين منى ما دمت لن أتدخل .. »

- « فقط كن على مقربة منا لترى المشهد .. فإن كنت مخطئة تلقيت الإهانات وحدى، وإن كنت مصيبة تدخلت أنت لحمايتى .. »

- « ليكن .. أين تتكلمين ؟ »

- « من دارنا .. »

- « ستأتى عربة شرطة تقلك إلى دار (حسين أبو شادى) حالاً .. سأكون دانيًا ، لكنى لن أتدخل حتى أقتنع .. »

ووضع السماعة ..

بعد عشر دقائق توقفت سيارة الشرطة المذكورة أمام البيت ، فهرع الأصدقاء يركبونها ، وانطلقت العربة تنهب الطريق نحو بيت الفقيد ، الذى يبدو أنه لم يعد فقيدًا ..

وكان المشهد أمام البيت كافيًا لتلخيص الموقف .. هو ذا البواب يحمل الحقائب ، وثمة سيارة تقف وقد انفتحت حقيبتها الخلفية ، يبدو أنها سيارة استأجرتها السيدة هاتفيًا ، وكانت هى واقفة تتأكد من وضع متاعها ، وقد وضعت عوينات سوداء تخفى بها وجهها وعينيها ، حتى بدت كامرأة حزينة أخرى تنهى فصلاً من حياتها ..

ترجل الأصدقاء ووقفوا مترددين بصدد الخطوة التالية .. قالت (عبير) لـ (عاطف) :

- « هلم .. دورك ! »

فصاح محتجًا :

- « يا سلام ! أنت صاحبة الفكرة وعليك التنفيذ .. »

لم تناقش واتجهت فى ثبات نحو المرأة .. لم يكن ما تخشاه أن تكون مصيبة ويؤذيها الرجل .. كان الأكثر رعبًا أن تكون مخطئة ..

وابتسمت السيدة فى مرارة حين رأتها وكادت تقول شيئًا ..

هنا مدت (عبير) يدها ، ودون إنذار انتزعت الشعر المتدلى على وجه السيدة .. رباه ! إنه ملتصق ثابت ! لكن لا .. الحمد لله ! كانت هذه أطول لحظة فى التاريخ بالنسبة لها ، لكن كل شىء على ما يرام وها هى ذى الجمة تطير فى الهواء كاشفة عن الرأس الأصلع اللامع للأستاذ (حسين أبو شادى) .. كانت عويناته قد طارت بدورها ، فبدا وجهه عاريًا مضحكًا بالأصباغ التى وضعها وأحمر الشفاه ..



هنا مدت (عبير) يدها ، ودون إنذار انتزعت الشعر المتدلى
على وجه السيدة ..

رجل أصلع يرتـدى فسـتانًا ويصـرخ مـن فـرط الصدمة ..

هوت يده الثقيلة على وجـه (عبير) / (نوسـة) ، وصاح فى غل وهو يستعيد جمته :

- « أيتها السافلة ! سوف .. »

لكن المفتـش ظهر فـى هذه اللحظـة لاتـدرى من أين .. كان المشهد فى حد ذاته جديرًا بالمشاهدة يثـير الشكوك ، وبلهجة سينمائية خالصة صاح :

- « لاتتحرك يا أستاذ (حسين) .. أنت رجل مثقـف ولا ينبغـى أن تعامل بـالعنف .. لـو لـم نتهمـك بتهمـة القتل لاتهمنـاك بتهمـة التشبه بالنسـاء .. وهـى تهمـة لاتمر على خير فى أى بلد حتى الولايات المتحدة ، مـع مايحملون من تساهل نحو الحريات الشخصية .. »

تنهد (حسين أبـو شـادى) فـى استسلام ، وتـرك الجمة تسقط ثم قال بخنوع :

- « حسن .. لكن اسمح لى أن أرتـدى ثيابًا لائقة قبل أن نتكلم .. »

* * *

وفى البدروم وجدوا (تختخ) .. كان مكمم الفم مقيد اليدين تحت كومة من قوالب القرميد ثم وضعها بعناية لتوحى بأنه ما من شىء تحتها .. كان منهكا خائر القوى ، لكنه سُرّ إذ رآهم ، وأراد أن يفاجئهم بما يعرف ، لكن المفتش أشار إلى الرجل الملطخ بالأصباغ وقال :

ـ « أقدم لك الأستاذ (حسين) .. لقد عرفت (نوسة) الحقيقة بالتفكير المنطقى دون مواجهات .. »

أما عن جثة الزوجة فقد كانت وراء جدار صناعى قام الرجل ببنائه مستعملاً معدات البناء التى جلبها البناءون والمرممون إلى قبو داره .. كانت هناك ماسورة مياه مكسورة ، وقد ظل العمال يعملون هنا ثلاثة أسابيع ..

ببساطة وضع الرجل جثة امرأته جوار الحائط ، ثم بنى جدارًا أمامها .. أى أنه صنع لها قبرًا بسيطًا فى بدروم داره ..

أما ما رآه (تختخ) فى ليلة أمس فهو مشهد السيدة (سلوى) تنزع جمتها ، فإذا ما تحتها رأس أصلع كالزجاج . كان هذا حين وجده البواب وأحضره هنا ..

وما لم يعرفه (تختخ) هو أن قبرًا آخر كان ينتظره فى الجدار إلى جوار الزوجة .. فلم يكن هناك من حل آخر لدى الرجلين .. فقط كان على الزوج أن يلحق بالطائرة ويتولى البواب كل شىء ..

لم يكن (حسين أبو شادى) باللطف الذى تكلم عنه من عرفوه ..

★ ★ ★

وبينما هم فى لحظات مرحهم بعد الانتصار ، رأت (عبير) من يدنو كغراب البين منها وهو يداعب قلمه الزنبركى فى استمتاع ، وقال لها وهو يتثاءب :

- « حسن .. لقد انتهى كل شىء وساد العدل الأرض .. هلا انصرفِنا الآن ؟ »

قالت له متوسلة :

- ألن تتركنى معهم بعض الوقت ؟

- « يمكنك العودة يومًا ما .. لكن البقاء هنا يعرضك لتودد (تختخ) العاطفى ، ويهدد الفريق كله بالانقسام ؛ لأن (محب) سيتشاجر معه حتمًا .. ربما

كان أجمل شيء الانسحاب الآن .. في ذروة النجاح ..»

هكذا صافحتهم دامعة العينين واحدًا تلو الآخر ..

طالت مصافحة (تختخ) لها بعض الشيء، ودمعت عيناه إذ قال :

ـ « لقد أنقذت حياتى ! »

ـ « هدفنا إسعادكم ! »

وهتفت وهى تبتعد ويدها فى يد (المرشد) :

ـ « تذكر يا (تختخ) .. أن الحياة كلها أمامك .. لا تحب ما تجد بل أوجد ما تحب .. »

ـ « سأتذكر هذا .. »

واتجهت مع المرشد إلى قطار (فانتازيا) ...

★ ★ ★

فى القصة القادمة لن تترك (عبير) عوالم القصص البوليسية تمامًا .. بل ستخوض عالمًا كاملا من طراز الروايات التى يسميها الإنجليز باسم

whodunit's أى (من فعلهـا ؟) .. وبالمناسبة لا خطأ هنـاك فى تهجى اللفظـة الإنجليزيـة .. إنهم يكتبونهـا هكذا كما ينطقونها ..

سيكون كتيبًا ذا مذاق خاص ، لو أعطانا اللّه الأجل حتى نكتبه ونقرأه ونعيشه .

[تمت بحمد اللّه]

★ ★ ★

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

خمسة منهم !



د. أحمد خالد توفيق

خمسة منهم .. خمسة لا أكثر لكنهم **يعرفون أسرار الجريمة كلها ، ويعرفون** كيف يكافحونها ، وكيف يبحثون عن الأدلة ويستجوبون الشهود .. خمسة منهم لكنهم يملكون مواهب (بوارو) و (هولمز) و (مس ماربل) وكل مخبر أثار انبهارنا بذكائه الخارق ..

خمسة منهم .. فجرب أن تكون سادسهم ..

الثمن في مصر ١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

